

السؤال والمجابهة

مجلة رمنية اوتية تاريخية علمية

بإدارة

الاهباني الباني والمخلصي

العدد الثالث عشرة

الجزء العاشر

١٩٤٦

اكتوبر

تشرين الاول

المطبعة المختصة
بيروت - فريسيه (لبنان)

فهرس

الجزء العاشر تشرين الاول سنة ١٩٤٦

صفحة

- ٤٥٣ القومية والدين الاب غرينوريوس فرحات ب. م
- ٤٦٥ نشيد الصلب . هل هو لباخ ام لغيره ?
- ٤٦٨ موت الذئب الاب بولس سويد ب. م
- ٤٧٥ مدرسة الاسكندرية ونوابغها الاستاذ عيسى اسكندر الماروف
- ٤٧٧ حاشية على شرح شواهد المختصر الاستاذ جبرائيل افندي النحاس
- ٤٨١ الجمعية الخيرية للروم الملكيين الكاثوليك بالقاهرة .
- ٤٨٢ انت الابد ! (قصيدة) للاستاذ سامي عازر
- ٤٨٥ القسطنطينية ل . ا . ل
- ٤٩١ خلاصة تاريخ الكنيسة الملكية الارشمندريت يوسف الشماس ب. م
- ٤٩٧ الآلات الموسيقية عند العرب : العود الاب الفونس العباغ المخلصي

برل الاستراك لسنة ١٩٤٦

٦٠٠ غ . ل . س .
٢٥ ثلثاً
٧ دولارات

في لبنان وسوريا
في مصر وفلسطين والعراق
في البلاد الاميركية

السَّالَةُ

العدد العاشر

السنة الثالثة عشرة

١٩٤٦

اكتوبر

تشرين الاول

القومية والدين

محاضرة القاها في نادي الشبيبة الكاثوليكية في دمشق

حضرة الاب غريغوريوس فرحات المخلصي

رئيس المدرسة البطريركية في دمشق

بعد ان مهد حضرة الاب المحاضر لكلامه بذكر الظروف التي الجأته الى هذا البحث الدقيق

قال :

ان بين المادة والروح صراعاً قديماً بلغ من عنفه انه كاد يقلب قُطْمَ الكون ،
فانه بدأ وجسم الانسان حديث العهد بتراب الارض وبأنامل الفئان الاعظم ، ونسمة
الحياة فيه لا يزال فيها اثر جديد من روح الله ! ففطق الجسد يتشهى ما لا ترضاه
النفس - وناهيك بتفاحة الجنة ا - والنفس تصبو الى ما يباه عليها الجسد . فاذا
هذا المركب الانساني العجيب الذي اجتمع فيه عنصران متضادان ليكون ، وهو
على الارض ، متصللاً بالسماء ، يشغل بحرب لا هوادة فيها عن تحقيق المثل العليا التي
خلق لها وهي الحق والخير والجمال !

ولا ريب ان التاريخ سجل على الانسانية عصوراً مظلمة انتصرت فيها المادة على

الروح فتقاعد الانسان عن درك المثل العليا وقنع بالمثل الدنيا لان الحق والخير والجمال روحية في اجوائها العالية وهي تتصاعد هرمية الشكل متقاربة في تصاعدها حتى تلتقي في الذات الالهية ، ولكنها في طبقاتها المنخفضة مادية وقواعدها غائصة في المادة حيث يهوي اليها الجسد ويجر معه النفس المكبلة باغلاله الثقيلة .

هذا ما كان من شأن الوثنية التي غلبت المادية عليها فلم تلتمس مثلها في الله ، ولم تسم روحها اليه تعالى بل التمسث مثلها في الخلائق من بشر وحيوان ونبات وجماد ، وخلعت عليها الالهية التي انكرتها على الله . ولقد هزى الشاعر اللاتيني « هوراس » ، وهو وثني ، بهذه المادة المفرطة فقال على لسان وثن من الاوثان : « لم اكن فيا سلف الارومة تين ، خشبة لا نفع لها . ولما لم يدر الفنان أمقعداً يصنع مني ام هولة سوات له نفسه ان يصنع مني الاله ، واذا انا بفضل ازميله الاله يرجف الاصوص وينفر العصافير » . واما « يوفينال » فكان ، على ما علق بذهني من كتاباته ، يتسلى بعد ما في جنينته من آلهة لعباد البصل والثوم ! واظن انكم تذكرون ايها السادة ، عبارة « بوسيوه » في وصف الوثنية وهي تورد مثلاً على البلاغة : « كل شيء كان الاله ما عدا الله نفسه ! » .

وليت المقام يفسح لي ان اتقصى احوال المادية فأفاجئها في وجدان الوثني وتفكيره وقلبه ! اما وقد حدد الوقت وحدد الموضوع فانا اکتني بذكر ما يجلبه الابتعاد عن الروحانية من غلاظة الطبع وفضاظة الخلق والقسوة المستبدة الجائرة . فان الوثني الذي كان عبداً للقوة لم يعرف الرحمة حين اتاحت له قوته ان يغلب عدواً او يظفر باسير ، فكان يذيقها امر الوان العذاب ويخضعها للعبودية القاهرة . وما كانت النساء ارحم من الرجال فان احد المؤرخين يروي ان الرومانيات لما ادركن الغاية من الترف واللذات وتمتع الحياة كن في ساعات الملل القاتل يوثرن من اسباب اللهو ان يخزنن الاماء . وخزاً مؤلماً بدبابيس طويلة من الذهب ويتنعمن برويتهن متعذبات متلويات من الالم !

ولست انكر ان الفلسفة جربت ان ترجع للمثل العليا مثلتها وللروح نفوذها

ولكن تعاليمها اختلطت بالالوهام واحتكرتها الخاصة وتضاربت المذاهب فيها فلم يصل الى الشعب منها ما يؤثر فيه ، ولا تسنى له معها ان يطمنن الى عقيدة صافية . في وسط هذه الشعوب المتعبدة للاصنام ، المحفورة باديتها ، سار الشعب اليهودي منفرداً لعبادته « ليهوه » الاله القدير ، ومتقيداً بشريعته الروحية كأنه يقيد معجزة بحر القازم فيسير على الاقدام وتقف المادية امواجاً على الجانبين لا تطبق عليه . غير انه لم يلبث ان تخلق باخلاق الامم المجاورة فمبد العجل ، ورضي ان يستعبد للمادة ، وآثر التمسك بجرف الشريرة ، وتناسى روحها المحيية حتى كَلَّ الانبياء من الوعظ ، وسُمِّوا الوعيد ، وملأوا المواعيد . فغشي العالم كله ديجور الضلال .

ذلك هو الزمن الذي اختاره المسيح لأداء رسالته الالهية ، فاذا تراه يصنع امام بحر الانسانية الصاحب المضطرب الأيخوض العباب ام يقف على الشاطئ . وقفة المنفرج ؟ أيقتمم الزوبعة ام ينتظر حتى تسكن الرياح ؟ بل يسير على الامواج فلا يتبلعه القمر ، ويبسط يمينه فيعاود الصفاء وجه المياه ! يسير بروحانيته اللطيفة على امواج الفكر الانساني فيطأ الضلالة تحت قدميه ، ويبسط يمينه على مهب العواطف البشرية فيجمل السلام ويسكن الاهواء العاصفة .

اتي ليحارب المادية المعششة في نفوس الخلق ويسخر المادة ، وما هي الأداة الروح ، لتحقيق تلك المثل العليا التي تغافلت عنها الانسانية . فكاني به وقد وقف امام الهيكل الضخم الذي بنته الاجيال السابقة و اشار الى عظمتها المادية وقال : « اترون هذا الميكل ؟ . . . انه ان يبقى منه حجر على حجر » . قد وقف امام المادية ليهدمها ويقم عرضاً عنها مادية اخرى خاضعة للروح ، خاضعة لروحانية الانجيل ! فقال لعباد الفنى : « لا تعبدوا ربين : الله والمال » ؛ ولعباد القوة : « لا تحافروا ممن يقتل الجسد » ؛ ولعباد اللذة : « لا تهتموا بما تأكلون ولا بما تلبسون » ؛ وحرّم عليهم النظرة التي ترافقها الشهوة : « ان شككتك عينك فاقطعها واقصها عنك » . ولما قالت له السامرية : « ان آباءنا سجدوا لله في هذا الجبل وانتم (تعني اليهود) تقولون ان المكان الذي يجب ان يسجد فيه هو في اورشليم » اجابها انه ينبغي ان

يُسجد لله لا في هذا الجبل ولا في اورشليم بل يُسجد له بالروح والحق « لان الله روح » .
فهو يطلق العبادة الجديدة من قيود المكان ويطلقها من قيود الزمان ويتسامى
في روحانيته فاذا جميع الناس على تفاوتهم في الثروات والمراهب والاقدار وتباينهم
في اللون والنسب واللغة يتجردون امام الله من هذه الفوارق المتنوعة فلا تبقى الا
انسانيتهم التي بها خلقوا على صورة الله .

ان الثورة الفرنسية التي حشدت نواب الامة واستعانت برجال الفكر ورجعت
الى كتب الفلاسفة لتطلع علينا بما اعتبر كشافاً جديداً لحقوق مجهولة هي حقوق
الانسان ، عادت من حيث لا تدري الى مبادئ الانجيل فاقبست منه وهي متشككة
له ولم تبلغ مع ذلك مداه لان روحانيته المحررة لم تبلغ مداها اية فكرة بشرية
محررة ا وأين ما يَهَبُ الانسان مما يَهَبُ الله؟ فالحرية والمساواة والاخاء هدية الانجيل
الذي علمنا « ان الحق يجررنا » وعلمنا اننا « ابناء اب واحد هو الله ، فنحن اخوة
متساوون . »

ولم يكن اليهود ايهجوا هذه الحقيقة، فكيف، وهم الشعب المختار المتحدر من
صلب ابراهيم ، يسمون بان السامري واليوناني والروماني اخوة لهم ويصدقون ان من
يعلم هذه التعاليم هو المسيح المنتظر؟ فانهم انما كانوا ينتظرون مسيحاً يخرج من
قوميتهم لينهض بها ويطرد الرومان ويحطم بصولجانه صولجان قيصر ويرد المجد
لاسراييل ويساطه على الشعوب .

ولا ننس ان الاديان القديمة كانت ادياناً قومية لها آلهتها الخاصة آلهة المملكة ،
وكان الفاتح يفرض آلهته في جملة ما يفرضه على المدن المفتوحة فكأنه ادخلها في
قوميته حين يدخلها في دينه . واليهود اشد الام تمسكاً بقوميتهم التي تختلط
عندهم بالدين . فاذا قالوا : « نحن اولاد ابراهيم » فقد عنوا الدين والقومية في
آن واحد .

واذا بالمسيح يفاجئهم مفاجأة عنيفة : « ان مملكتي ليست من هذا العالم » فلا
ينشئ كنيسة من اولاد ابراهيم الجسديين بل من اولاده الروحيين ، اولئك الذين

« يأتون من المشارق والمغرب ويتكثرون في احضانه » فان اعترض عليه اليهود اجاب :
 « ان الله قادر ان يقيم من الحجارة اولاداً لابراهيم » ، ويأمر تلاميذه ان يذهبوا
 الى جميع الامم ايضا الى ملكه الروحي جميع الشعوب لا فرق في ذلك بين
 اليهودي واليوناني ، بين العرب والرومان والفرس ، بين سكان اوربة وسكان
 افريقية ، بين الشرق والغرب . لان الكنيسة يجب ان تكون جامعة ، وهذا ما
 حدا يولس رسول الامم ان يقول : « اخلعوا الانسان العتيق مع اعماله والبسوا
 الانسان الجديد الذي يتجدد على صورة خالقه حيث ليس يوناني ولا يهودي ، ولا
 اعجمي ولا اسكوتي ، ولا عبد ولا حر » . وهكذا فاضت الروحانية على الانسانية
 كلها فوحدتها في خلق جديد تخضع فيه المادة للروح وتتجلى صورة الله نسمة حياة
 مهيمنة على حفنة التراب .

فارتفع الدين المسيحي متعالياً فوق القوميات المختلفة ، متميزاً عنها ، غير متقيد
 بواحدة منها ، منطلقاً انطلاق الروح لا توقفه حدود الارض ولا فوارق الطبيعة ،
 يغمر نفوس بنيه ويتوجه الى كل الامم ، يضم افراداً من جميع الاقطار ويربطهم
 برابطة إلهية لان الله ليس إله فرد واحد ، ولا إله امة واحدة ، ولا إله بلد دون
 آخر ، ولا إله وطن دون آخر ، بل هو إله الانسانية وإله الكون ا

بيد ان الدين وان تميز عن القومية ، لان غايته روحية وغايتها زمنية ، فهو لا
 بد له ان يكون معها وان تكون بينهما علاقة . وسبب ذلك ان الفرد الواحد يناط
 به تحقيق الغايتين . فهو من جهة مرتبط بدينه لتحقيق غايته الروحية ، ومن جهة
 مرتبط بقوميته لتحقيق غايته الزمنية . فا نوع هذه الصلة بين القومية والدين ؟
 أيسطر الدين على القومية ام تطغو القومية عليه ؟ لا هذا ولا ذلك لان الغايتين
 متميزتان والواجبات التي تحملقانهما والحقوق الناجمة عنها تتناوح ولا تصطدم . وقد
 نظر المسيح الى هذه الصلة فوضع لها حلاً يبطل المشاكل ولا يدع مجالاً للتراع :
 « اعطو ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وقيصر هنا يعني لا الدولة الحاكمة فقط بل
 القومية ايضاً فلا يجوز ان يسلبها الدين حقوقها ولا ان تسلب حقوق الدين ا

ولذلك وجب ان لا تختلط السلطان لئلا تحمّل الواحدة تبعات الاخرى مما يحدث الاضطراب ويضرّ بالمصلحة العامة ؛ والتاريخ يشهد ان تداخل السلطين عاد بالوبال على كليهما . وقد يؤدي هذا التداخل الى نظام غير مستحسن في الاحوال العادية وهو نظام الانفصال التام بين الدين والدولة . على انه مهما قيل عنه واية كانت الدوافع التي افضت اليه فهو الذي يحسن اتباعه حيث تنسب الاديان وتتعدد الطوائف وتتدوع المذاهب لان الحكم باسم الدين في هذه الظروف مما يصدع القومية ويضرب على المساواة التي هي قوامها . والانفصال لا يفهم به محاربة الاديان ، فعلى الدولة معه ان تحترم الاديان كلها وتضمن لها حريتها وان تعامل الافراد على اساس القومية الواحدة . والآن فهناك نظام اصلح هو نظام الاتفاق الودي على ان نعمل كلٌّ في حقله لتحقيق غايته . فتهم السلطة الدينية بالشؤون الدينية ، والسلطة المدنية بالشؤون المدنية . واما الشؤون المختلطة فرجعهما السلطان ولكنها تجعلانها موضوعاً لاتفاقية خاصة فلا يبقى من سبيل لاعتداء على حق او هضم حق ا

وليس من اغراض هذا البحث ان يُنتقد وضع او يشار الى خلل ، وانما اسوق الكلام فيه متقيداً بموضوع فرض عليّ وهو علاقة الدين المسيحي بالقومية . فاما وقد اتضح انه متميز عنها فلا يجوز بعد ذلك ان ننكر ان المسيحي لا يستطيع ان يجمع بين راية الدين وعلم الوطن . ولا يجوز ان ننكر ان النصرانية تقف يوماً من الايام موقفاً سلبياً من القومية الصحيحة ؛ فلئن كانت روحانيتها تمتد الى القارات الخمس فابناؤها حينئذ وجدوا ابناء وطنهم وابناء قوميتهم يبذلون دونها الارواح وينودون عنها كل ظالم معتصب ا

ولا يحق لاحد ان يحسب هذا القول ضرباً من الشعر او فقرة خالية آتت بها دفاعاً عن نصارى العرب ، فلما احتجنا ، والحمد لله ، الى الدفاع منذ فجر تاريخ النصرانية ، يوم كان المسيحيون يتطوعون جنوداً للقيصرة الوثنيين فلا يفرقون في ساحات الحرب الا بين رايتين : راية الوطن وراية اعداء الوطن ا

وماذا اقول عن التاريخ المشترك الذي جمعنا قبل الفتح الاسلامي تحت راية

الغساسنة ملوك الشام وهي راية عربية وهم ملوك يبريون مدحهم حسان بن ثابت
شاعر الرسول العربي بقوله :

إِذَا سَأَلْتَ فَانَّا مَعْشَرُ نَجْبٍ أَأَزْدٌ نَسَبْنَا وَالْمَاءُ غَسَّانُ
وقال أيضاً وهو مما كان اصحاب الغناء يتغنون به :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجأق في الزمان الاول
يسقون من ورد اليريص عليهم راحاً تصفق بالرحيق السلسل
اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يفشون حتى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه أعمَّة احسابهم شمُّ الانوف من الطراز الاول
وقد امتدح مرة احد ملوكهم فذكر نصرانيته وقال :

ذاك معنى لآل جفنة في الدهر م محلاً لحادث الازمان
قد اراني هناك دهرأ مكيناً م عند ذي التاج مقعدي ومكاني
ودنا الفصح فالولائد ينظمن م سراعاً اكلة المرجان
صلوات المسيح في ذلك الديوم دعاء القسيس والرهبان
الى ان يجرضه على الحرب قائلأ :

اشهرتها فان ملكك بالشام م الى الروم غر كل يمان
فاذا شهرت الحرب تقدم الصليب الفياق دفاعاً عن القومية . وموقف نصارى
العرب من الروم يوم الفتح الاسلامي خير دليل على ان الدين ما كان عقبه حات
دون الانتصار للقومية العربية ا

وجمعنا التاريخ بعد الفتح فاذا قبيلة تغلب النصرانية تأبى ان تتزل عن دينها
ولكنها لم تنس قوميتها ، وهي حين رفضت القيسية ان تباع يزيد بن معاوية بعد
وفاة ابيه قد انتصرت للخليفة العربي وكانت عند كل شدة سندا للامويين، وبذلك
يفخر الاخطل شاعر « تغلب » في بلاط « امية » فيقول لعبد الملك :

وقد نصرت امير المؤمنين بنا لما اتاك ببطن الغوطة الخبر

وانتقلت الخلافة الى بغداد ثم كان من انقلاب الدهر ان جمعنا التاريخ بعد الراهة العربية تحت الراهة التركية فلم يمنع الاترك دينهم الاسلامي ان يجاروا القومية العربية . فاذا المسلم والمسيحي جنباً الى جنب في النضال القومي :

أخاك اخاك ان من لا اخاله كساع الى الهيجا بدون سلاح

فهما يدخلان معاً الجمعيات السياسية ويجردان الاقلام ويعاونان المنابر ثم يساقان يداً بيد الى اعواد المشانق ، وما بعد العهد بها يوم آخر نظرة ، والهبال في الاعناق ، من المسيحي الى اخيه المسلم ، ومن الشيخ المسلم الى اخيه الكاهن المسيحي .

وفي جميع هذه المراحل من حياتنا القومية جمعنا اللغة العربية الشريفة التي تعاونت القبائل وتعاضدت الاجيال لوضع مفرداتها واحكام تركيبها وضبط قواعدها : وثنية يهودية قبل المسيح ، متنصرة قبل القرآن ، مسلمة نصرانية بعده لانها اداة الفكر ، والفكر للجميع كما قال شاعر الاقطار العربية :

في الدين ما شاءوا ولكن في الحجي ما من مسيحي وما من مسلم

واللغة، ايها السادة ، فضلاً عن انها تنقل الينا آثار السلف وتنقل آثارنا الى الخلف تذهب عن الانسان شعور الوحدة وتدخل عليه شعور الالفة فيحس انه من قومه ومع بني قومه ا ولا يدرك ما لهذا الشعور من قيمة الا من يازل في بلاد غريبة لا يسمع فيها لغته فكانه قد انفصل عنه جزء من روحه . فان سنع له ان يسمع متكلماً بها تحيل اليه انه استعاد ما فقدته فلم يابه للرجل من هو ومن اي بلد هو ولا الى اي مذهب ينتمي ، اما يتحدث بلغته ؟ فحسبه ذلك منه ليكون له نسيباً واخاً حبيباً ! ولقنتنا العربية الجميلة التي حفظها لنا القرآن وحفظها الرواة ودواوين الشعر هي

ايضاً تراث مقدس توفرت على صيانتها الجوامع والاديار . ولما بعثت النهضة الحديثة كان من اعظم القائمين بها رجال من نصارى العرب سجدوا مع اخوانهم المسلمين فكروهم العربي واجروا قلمهم العربي خدمة للغة العربية . وما اليازجي بنكرة في عالم اللغة ولا مطران بنكرة في عالم الشعر !

ولم لا اذكر المعاهد الثقافية الوطنية التي اسست على دعامين من الدين

والقومية ، واستهدفت شيئين : الفضيلة والعلم ، وكان هما الاكبر ان تحيي لغة الوطن كعهدنا البطريركي الذي طوى سبعين عاماً وهو يخرج فوجاً بعد فوج من خيرة الشباب الوطني ويدفعهم مسالين ومسيحيين الى معترك الحياة كاملي العدة ليؤدوا رسالتهم القومية ؟

الى الآن لم تحدث ايها السادة ، الأ عن عنصرين من عناصر القومية : عن التاريخ الذي ابصرنا في هذه البقعة تتقلب علينا الرايات المختلفة وندين باديان مختلفة ولا نتزحزح عن قوميتنا العربية الواحدة ، ثم عن اللغة التي ضمت المسلم والمسيحي ينطقان بلسان واحد ويثران معاً مخلقات الشعر والادب . ولكن الماضي المجيد يقضي علينا ان لا نخلد الى النوم فان القومية وعي قبل ان تكون اي شي . آخر ! انها لغة الحاضر الى ما فبر من الزمن ، وثبه العبرة ، ويقظة الشعور ، واستجماع ما عند الامة من قوى لمواجهة الطوارئ ، وحشد العواطف المتشثة حول هدف واحد . فما التاريخ؟ وما اللغة؟ أما انها قد يكونان ملك الغفلة وملك اصحاب الاثرة الراقدين على ايجاد محنطة؟ مع انها لا يصلحان فاسداً ولا يبلغان غاية الأ متى صحت الامة من غفلتها وخرجت عن طور الاثرة فوعت ما في ماضيها من مقومات حاضرها وجعلت الحاضر اساساً لبناء المستقبل الزاهر السعيد .

واني اعلم يقين ان شباب اليوم قد خالج نفوسهم من الوعي القومي ما لا حاجة معه الى من يذكرهم بتراث الاجداد او ان يستنهض عزائمهم ليقوموا بالواجب ويزودوا حقوق الامة !

وتوافق هذا الوعي روحانية متدفقة غامرة ا روحانية تفيض من عبوري طموح واتسري من فرد الى فرد حتى يؤخذ الجميع بثمل تيار كهربيائي يلهب الممهم ، فأيان كان الهدف تراكضوا اليه ولو ان دونه الموت الزوام . روحانية غريبة تدفع الانسان الى اقتحام الاخطار وقد نبت في قلبه امل مبهم تحضنه عاطفة جياشة مثلاً يحضن الدماغ المتهيح احلام الليل ثم يأخذ الخاطر اليقظ يستوضح هذا الامل حتى يصيره فكرة جليلة تنتظر العمل . وكثيراً ما لا يستوضحه الا بمقدار ما يحقق منه او

لا يدرك تمام وضوحه إلا بعد ان يقطع مراحل في طريق العمل . وحيوية الامة لا تتوثب الا تحت سيطرة هذه الروحانية الفريدة .

يمثل هذا الشعور سار اليونان وراء الاسكندر الى فتح الممالك ، وتدويخ الشعوب وتسطير المجد ، ويمثله قاذ يوليوس قيصر كتائب الرومان من قطر الى قطر . مظفراً يجلد غلبته على الحجر ويودعها صفحات الرق ، ويمثله زحف الامة العربية من جزيرتها كانوا ضاقت انفاسها في وجه الصحراء فضمتها روحانية عميقة صفوفاً منظمه وارسلتها لتضم البلدان تحت الراية العربية المنتصرة ا

ونحن نعلم ان الفتح يتسع ما اتسعت هذه الروحانية التي لا شيء يؤثر فيها تأثير الدين ا والدين المسيحي ايها السادة ، يلحق هذه الروحانية في نفوس بنيه فانه يجعل من الواجب القومي ما يضارع واجب العبادة . لان قول المسيح : « ادوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ليس من قبيل التنصل كانه لا يريد ان يتدخل في ما لا يعنيه بل هو من قبيل الامر ، فيجب على كل مسيحي ان يؤدي حق قيصر مثلاً يؤدي حق الله لانه « لا سلطان الاً من الله » . ولقد شرح بولس الرسول كلمة المسيح فواجب ان تؤدي « الجزية لمن له الجزية . . . والمهابة لمن له المهابة والكرامة لمن له الكرامة » وقال : « ان من يقاوم السلطان فانما يعاند ترتيب الله » . وحذّر في موضع آخر ان يكون الخضوع للسلطان خوفاً من غضبه وحم ان يكون ذلك منا ارضاء لضاثرنا . ولذلك نحن زباً بانفسنا ان نعتبر الخضوع تعبداً للقوة او مجاملة متملقة او سبيلاً للنجاة من عواقب العصيان بل نرفعه الى مقام الواجبات الدينية ونستوحيه من الضائر الحية ، وهنا يتجلى ما تفرضه النصرانية على بنيتها لتسهي فيهم الاخلاص لقوميتهم والتوفر على خدمتها والسعي لنهضتها ا

فالامة التي نحن منها ليجمعنا النسب والتاريخ واللغة ا الامة التي ولدنا فيها ، ودرجنا على ارضها ، وعشنا من ارزاقها ، واشركنا في خيراتنا . الامة التي خبزها خبزنا ، وماؤها ماؤنا ، وهوؤها هواؤنا . الامة التي اكتسبنا العلم في معاهدها ، وبلغنا كمال التهذيب في مجتمعاها ، وزاولنا الاعمال مع افرادها ، وامنا على ارواحنا

في حمايتها ، هي امة يلزمنا العدل ان نكون عند آمالها فينا ، نحمل ما تحمل من
اعباء ، ونقوم بما تلقينه على عواتقنا من مهام ، وننقيد بما تسنه من شرائع ، ونتجند
لتنفيذ اوامرها ملتفين حول العلم المفدى ، وعلى ثغورنا ابتسامة من هو موقن برضى
امته ورضى وجدانه ورضى ربه !

ولكن ما لنا وللعدل ! فان النصرانية تضع فوق العدل شريعة المحبة : « الله
محبة » يقول الرسول : « ومن ثبت في المحبة فقد ثبت في الله » فما هذه المحبة ؟ أهي
عاطفة تجذب بها الى القريب لانه من ديننا او ذوي قرابتنا او من اصدقائنا ؟ بل
هي اسمى من ذلك كله لانها نفس العاطفة التي نتوجه بها الى الله ، ومن يدعي حب
الله وهو لا يحب قريبه يحسب رجلاً كاذباً لانه كيف يحب الله الذي لا يراه ويعت
صورته المتجلية في اخيه الانسان ؟

على ان لهذه المحبة مراتب متفاوتة فهي تبدأ عند كل واحد وتنتقل الى ذويه
ثم الى بيتي وطنه ولا تجاوز الحدود الى الانسانية الا بعد ان تعمر ارض الوطن
وتفيض عنها كالنهر المتدفق الذي لا ينتهي الى البحر الا بعد ان يروي ظمأ السكان
وظمأ البلدان !

فباسم المحبة التي هي اعظم الوصايا الالهية يد المسيحي يده الى اخيه المسلم ابن
قوميته ويقول له : « رأيتني معك على ممر العصور شريك النعيم والبؤس نستظل راية
واحدة ونتكلم لغة واحدة والآن نلتفت كلانا فاذا تربتنا ظامئة فلنقفل السدود حتى
ترتوي ارضنا من مياه الحب : ما انت في غنى عني ولا انا في غنى عنك . لك دينك
ولي ديني ، ولكن لنا وطناً واحداً ونسباً واحداً فانك اخي وانا اخوك ومن ذهب
منا خسرنا الآخر وفقدت القومية فيه عضواً عاماً فضعد جراحي وانا اضمد جراحك
ولنجي معاً ومتى جاءت ساعة الموت فلنمت معاً وليمتج دمنا بدم الاجداد فدى
لقوميتنا . وقدياً قيل ان دم الشهداء ينقع غلة الارض ويؤتيها الحصب » .

هذا ما يلقيه المسيحي في اذن اخيه المسلم ، ويحيل المسلم نظره فيبصر المحبة
المسيحية متجلية في العين فائضة من القلب . يبصرها في ميادين القتال حيث يزدود

الجنود عن الوطن وحيث الايدي الرفيعة تأسو الجراح الدامية . يبصرها في المستشفيات
حيث راهبات الرحمة يخدمن الجميع مسرّيات عن الخزون معيدات الى اليانس بسمة
الرجاء . يبصرها عند جاره وعند صديقه . يبصرها فلا يدهشه ان تعتبر الاجيال
شخص المسيح عنوان المحبة والرحمة والسلام ويتذكر ما تفتى به شوقي امير الشعراء .

ولد الرفق يوم مولد عيسى والمروءات والهدى والحياة
وازدهى الكون بالوليد وضأت بسناه من الثرى الارجاب
وسرت آية المسيح كما يسري من م الفجر في الوجود الضياء
تتأ الأرض والعوالم نوراً فالثرى مائج فيها وضآ
لا وعيد لا صولة لا انتقام لا حسام لا غزوة لا دمآ
ونذكر ايضاً قوله :

عيسى سيملك رحمة ومحبة في العالمين وعصمة وسلام
ما كنت سفأك الدمآ . ولا امرأ هان الضعاف عليه والايتم

ويحى لنا ايها السادة ، وقد بسطنا موقفنا من قوميتنا العربية ، ان نتساءل عن
موقفنا منا ا افيعقل ان لا يكون موقف الحرية وموقف المساواة وموقف الاخاء ؟
والآ فما الوطن ان لم يكن أبا للجميع ، وما القومية ان لم تكن أماً للجميع ؟

فوزي المعلوف

ظهر أخيراً هذا الكتاب بثمان وتسعين صفحة كبيرة . وهو درس تحليلي للملحمة
« على بساط الريح » بقلم حضرة الاب جهرايل ابي سمدي . وقد اورد فيه تلك الملحمة
بناشيدها الاربعة عشر . واتى في خلالها على درس حياة ذلك الشاعر العبقرى وصفاته
وادبه . فاعتاض علم الادب بهذا الدرس عن الطبعة الاولى من تلك الملحمة التي
صارت نادرة الوجود . وهو يطلب من مطبعتنا الخاصة دير المخلص - صيدا .

ثمنه ٣٠٠ غ . ل .

نشيد الصاب

هل هو لباخ ام لغيره ؟

أنا لصاحب الامضاء الرسالة التالية نورد ما يعرفها الواحد تحميصاً للحقيقة التاريخية، دون ان ننسب لحضرة العرب او لحضرة صاحب هذه الرسالة انحرافاً عن تلك الحقيقة .
(الادارة)

بيروت في ٢٠ آب سنة ١٩٤٦

حضرة المحترم محرر مجلة « الرسالة المختصية »

سيدي الفاضل

كنت بالامس أتصفح مجلتكم عدد آب - ايلول من هذه السنة . وكان « نشيد الصليب^(١) » نظم السيد نعمة صباغ ، بعض ما قرأته فيها . وبما استلفت انتباهي حين قراءة هذا النشيد كانت كلمات « التعريف » التي على راسه ، حيث يقول المعروف ان النشيد من تأليف « باخ » الخ . ولم يوضح معناه تماماً ، أي هل ألف باخ الموسيقى للنشيد أم كلماته ، اذ ان كلمة « تأليف » تطلق على « الصوناتا » أو « السمفونية » كما تطلق على الملحمة أو المعلقة أو الرواية ، الى آخر ما هنالك ، في الادب والكتابة .

وسواء قصد المعروف بكلماته أن باخ ألف اللحن أم كلمات النشيد ، فقد زلّ قلبه عند هذا التعريف ، اذ لم يؤولف باخ لا هذا ولا تلك . ولكوني على تمام اليقين من انكم لا ترغبوا (كذا) أن ترفوا الى قرائكم الا كلما تثقون من صحته ، تجاسرت على كتابة هذه الاسطر ، مع اني لست من رجال القلم ، حتى أبين لكم المعلومات الصحيحة عن هذا النشيد .

الكلمات : مؤلف كلمات النشيد رجل ألماني اسمه پ . جرهرذت P. Gerhardt

من سنة ١٦٠٢ الى سنة ١٦٧٦ . وقد بنى نشيده على اساس نشيد قديم باللاتينية

(وكانت اللغة اللاتينية ، كما لا يخفى ، لغة الدين والعلم والادب في اوربا الى ما بعد
 الاصلاح) مطلعها « Salve caput cruentatum » ، يرجع ان مؤلفه كان ارنولف
 فون لوفن (Arnulf Von Loeven) من سنة ١٢٠٠ الى ١٢٥٠ . الا ان البعض
 ينسبه الى القديس برنارد سنة ١٠٩١ الى ١١٥٣ (St. Bernard of Clairvaux) .

واعتمد في هذا على كتب الترتيل الانكليزية واخصها :

1. « The English Hymnal » edited by Percy Dearmer (words
 editor) and by R. Vaughan Williams (music editor)

2. « The Songs of Praise » edited by Percy Dearmer (words
 editor) by R. Vaughan Williams

and
 Martin Shaw

} (music editor)

الموسيقى : اما مؤلف اللحن فهو الموسيقي الالماني هانس ليو هزلر سنة ١٥٦٤

الى ١٦١٢ (Hans Leo Hassler) وهو من اكبر الموسيقيين الالمان قبل مجي .

الجابرة ، اعني سيستيان باخ ، وهابديل ، وموتزارت ، وبيتهوفن ، وشوبرت .
 (Johann Sebastian Bach; Handel ; Haydn ; Mozart; Beethoven ;
 Schubert) .

والمؤلف هزلر هذا سنة ١٦٠١ (اي ٨٤ سنة قبل ميلاد باخ) ، كتاب الحان اسماء

« حديقة الاغاني الالمانية الجديدة » وحازت هذه الالحان - ومن جملتها اللحن الذي

يقرن اسمه الآن بنشيد الصليب ^(٢) - قبولاً كبيراً عند الالمان ، اذ انه ابتكر

في تأليفها طريقة جديدة ، في يومه ، جمع وقرب فيها بين الموسيقى الالمانية الحديثة ،

الرصينة ، وبين الموسيقى الايطالية المرححة . ومما هو جدير بالذكر ان هذا اللحن لم

(١ و ٢) العنوان الذي اثبتنا تحته في العدد السابق النشيد الذي نحن في صدره هو : « نشيد

الصلب » وليس « نشيد الصليب » كما يقول صاحب هذه الرسالة . ولعل في هذا بعض جلاء

في الامر . فقد يكون « جرهدت » وضع كلمات نشيد الصليب ، و « هزلر » لحنه . لكن هل

« نشيد الصلب » الذي اثبتته المعرب لباخ هو لغيره ؟ - ما قول صاحب هذه الرسالة الفاضل ؟

(الادارة)

يكن في اصله لحناً دينياً بل شعبياً ، او بالاحرى ما يطلقون عليه لفظة (secular) في الانكليزية . وقد اعجب به عدد من كبار الموسيقيين الالمان ومن بينهم اعظمهم اي سبستيان باخ ، الذي استعمله مراراً عديدة في مؤلفاته ، مثلاً في نشيد الميلاد (Christmas Oratoria) الذي سمعه هواة الموسيقى في بيروت في العام الماضي من جوقة السيد ألكسي بطرس ، ونتيجة جهوده الجبارة - فقد كرهه مرتين في هذا النشيد كل مرة بترتيب وتناسق مختلفين للاصوات الاربعة (Different harmonisations) وكذلك استعمله باخ في مؤلفته الموسيقية الخالدة « قصة الآلام كما وردت في بشارة مار متى » - (The Passion according to St. Matthew) حيث رتبته الكلمات جهرت . وقد كان ولع باخ بهذا النشيد لدرجة جعلته ان (كذا) يصنف له تناسق اصوات مختلفة (sic) (Different harmonies) لا تقل عن ثلاث عشر (كذا) مرة . واعتمد في قولي هذا على الكتب الآتية : « الموسيقى في الحضارة الغربية » لوضعه بولس هنري لانج^(٣) ، استاذ علوم الموسيقى في جامعة كولومبيا الاميركية ، « رفيق الموسيقى » نشر جامعة أو كسفرد ، بقلم برسي شوولز (كاتب انكليزي على مواضيع الموسيقى له شهرة واسعة)^(٤) .

وفي الختام ارجو ان لا تنسبوا هذه الملاحظات الى التطفل او الجسارة او التقدم المادام ، بل الى رغبة شديدة لاطهار الحقيقة - حيث اعرفها - وخصوصاً في الموسيقى التي شغفني بها عظيم .

بنو خليل جمل

وتكرموا بقبول فائق الاحترام

(3) « Music in Western Civilization » by Paul Henry Lang, professor of Musicology in the University of Columbia.

(4) « The Oxford Music Companion » by Percy Scholes; English music critic.

(*)

موت الذئب

للشاعر الفرنسي الفردي فيني

تعريب

الادب بولس سوبه الملهي

وكانت الشُجُب تتعادي على القمر المتلالي . كما يُرى الدُخان متعالياً عن الحريق ،
وكانت الغابات حالكةً يمتدُّ سوادها حتى الأفق . وكنا نسير سكوتاً في العشب
الندي ، وكثيف الأريقي ، ومُلتف الشَّرين ، اذ أبصرنا في ظلال أشجار الراتنج
المشبهة أشجار لندة ، آثار الأظفار الكبيرة للذئاب المترحلة التي كنا قد أخذنا عليها
طريقها ، فأوجسنا ، حابسين أنفاسنا ، لا تَدبُّ لنا قدم . ولم تكن الغابة ، ولا السَّهل
يطلقان زفرةً في الهواء ، خلاً أنَّ الدُّوارة السَّجِيَّة كانت تُرسل صيحاتها الى عنان
السماء . ذلك لأنَّ الهواء اذ علا جداً عن الأرضين لم يكن دانيه يسُّ إلا الابراج
المتفرّدة ، وكان كأنما يُجِيل أنَّ أشجار السِّنديان المتضامة في المنحنى مع الجلامد
تستريح مسترسلة الى التَّوم على مرافقها . كان اذن كلُّ شيء ساكناً ، اذ خَفَضَ
أكبر الصيادين المنبئين في الطَّلب رأسه جاثماً على الرَّمْل ثُمَّ قال في خفوتٍ ، وهو الذي
لم يُخطئ قطُّ في مقالٍ ، انَّ هذه الآثار الحديثة تدلُّ على مِشِيَّة ذئبين عظيمين
بصحة جرورهما وعلى رسوم مخالبيهما الغلابية .

فأعدنا جميعنا عند ذاك مُدانا ، واذا أخفينا بناذقتنا ، وبياضها السَّدِيد الأمعان ،
أخذنا نتقدَّم خطوةً خطوةً مباعدين أغصان الشجر ، ثُمَّ وقف ثلاثة من الرفاق ووقفْتُ
أجبل طرفي فيما يتلمَّسونه ، واذا بي أبصر عينين تشعان نوراً ، وأرى دونهما الى الورا .
أربعة أشباح لطيفة تتراقص على ضوء القمر بين أشجار الأريقي ، كما تصنع السَّالوقية
كلَّ يومٍ على مرأى منَّا ، في لَجِبٍ وطَرْبٍ ، اذا رأَتْ صاحبها مقبلاً . فكنا

أشباحها متشابهة وكان رقصها كذلك؛ أما جروا الذئب فكانا يتلاعبان في سكوتٍ وهما على يقينٍ من أنه على قيدِ خطواتٍ دونهما ينبسط الرّجل عدوهما ورآه الجدران مهوراً . وكان الذئب قائماً ، والى جذع شجرةٍ دونهُ تستند الذئبة مُرِيحةً أشبهَ ما تكون بتلك التي نحتها الرّومان من حجرٍ وعبدوها قدماً واضطّعت جوانحها المشعرة على سبيهي الآلهة روموس ورومولوس . ثمّ جاء وجثمَ ونشبت مخالبه الحادة في الرّمْل فنصبَ فخدويه مُقعيّاً ، وأيقنَ أنّه هالك لا محالة اذ كان قد أخذَ بقعةً ، فقطعت عليه طريقه ، وسُدّتْ سُبُلُه كلّها . اذ ذاك تناول بين شذقيه المتوقدين حلق أضرى الكلاب المتخليج وما تراخى عنه لحياه الحديدان ، مع أن رصاص بناقدنا كان يجترق جسمه ، ومدانا المرهفة كانت تتشابك كالملازم في رحيب أحشائه ، حتى آخر لحظة اذ قضى السلوقي خنقاً يتمرغ على رجليه ، قبل حينه بكثير ، حينئذ تركه الذئب؛ ثم أخذ يحدجنا ببصره . وظلت مدانا في خاصرتيه الى نُصُبها وقد أثبتته على العشب مضرجاً بدمه، وكانت بناقدنا تحيط به في شبه هالة مشؤومة . على أنه ما زال يحدق الينا ثم سجا على الارض من جديد وهو يلحس الدم المترشش على شذقيه غير متنازل الى البحث عن معرفة أمر هلاكه بل أطبق أجفانه وذاق حتفه ولم يرسل صيحة واحدة . فوقفت مسنداً رأسي الى بندقيتي الفارغة مفكراً غير قادر على تمالك نفسي في اللحاق بالذئبة وجروبيها وقد أراد الثلاثة انتظار الذئب . وبدأ لي أن أَيْمَهُ الجميلة ، لولا جرواها ، ما تركته وحده يقاسي ذلك الأزل الشديد ، ولكن واجبها كان يقضي عليها بأن تنقذها سالمين حتى تستطيع أن تلقي عليهما كيف يحسنان احتمال الجوع ، ويتنكبان حياتهما عقد عهد المدن الذي قطعهُ الانسان مع تلك الدواجن التي تسمى دائبة في سبيل مستقرها أن تطرد أمامه مُلأك الغاب والصف الاولين .

فوا أسفاه ! لقد فكرت ملياً فتمولاني الحياء منا نحن البشر اذ نحن برغم هذا الاسم العظيم أوهى ما نكون مُنّةً ! أمّا كيف يجب أن تفارق الحياة وآلامها جميعها ، فذلك ما تعرفينه يقيناً أنت أيتها الضواري العظيمة ! واذا رَوّاً المرء في ما كان على هذه الارض ، وما يترك بعده ، أيقن أن الصمت وحده عظيم ، وسائر ما بقي وهن .

أجل ! لقد فهمتك أيها الزاحل الوحشي ، وان نظرتك الاخيرة قد نفذت الى قلبي ا
وكأنها كانت تقول : « ان استطعت فاجعل نفسك تباع بالدرس والتفكير ذلك
الشأ الاعلى من الاباء الرواقي الذي بلغته أولاً أنا وليد الغاب . ان الانين ، والبكاء ،
والدعاء ، كلها حورٌ على السواء . فقم حازماً بواجبك الطويل والثقل في السبيل الذي
شاء المصير أن يدعوك الى سلوكه ثم بعدُ كن نظيري . قاس العذاب واقض نجبك
دون أن تنطق . »

مدرسة الاسكندرية ونوابها (تتمة)

للاستاذ عيسى اسكندر المعلوف الافخم

ازهر التمدن واثر في وادي الرافدين اي دجلة والفرات وفي وادي النيل هذا .
فكان قديماً . جاء بعده تمدن الفينيقيين في سورية ولبنان وتمدن الحثيين في سورية وآسيا
الصغرى . وحضارة الفرس والمنود والصينيين في الشرق الاقصى والمتوسط . ولقد
كشفت الحفريات آثار القدماء فغصت المتاحف بها وكانت دعامة للتاريخ تحقق ما وهم
فيه مدونوه .

ولما ضعف العلم في الشرق ووصل الى الغرب كان اليونانيون اول من اقتبسوه من
مجاوريههم المذكورين لانهم اقرب من غيرهم اليهم وعنهم اخذ الرومان .
اما العرب فقد تناولوا علومهم من الفوس واليونان في اول الاسلام .
وايس امامنا الان مجال للخوض في تطور العلوم وانتقالها لان ذلك بحث فلسفي
علمي يحتاج الى التبسط .

انشأ بطلميوس لاغوس اول ملوك السالوقيين (سنة ٢٠٥ ق . م .) مدرسة
الاسكندرية فعرفت هذه المدرسة بانها نقلت علومها عن اثينا اليونانية في عهد البطالسة
لان جالية اليونان الذين غادروا بلادهم عندما فتح الملك الاسكندر المكدوني في الشرق

في القرن الرابع قبل الميلاد حملوا معهم كتب العلم والفلسفة والتاريخ والطب والطبيعيات والآداب والرياضيات وجاءوا القطر المصري ولاسيا الاسكندرية عاصمة ملك البطالسة .
 وكان العصر الاسكندري (من سنة ٣٠٠ - ١٤٦ ق . م .) فاخذت الاسكندرية حظها من الآداب والعلوم والفلسفة وغيرها فكانت مدرستها أم المدارس الشرقية تلقن فيها العلوم العالية حتى كان العلماء يتفخرون انهم من تلامذتها . والمأثور عنها ان العلوم الرياضية والهندسة وعلم الآلات (او الميكانيك او جر الاثقال) ونحوها لم يتم كمالها الا فيها على يد اساتذة مشهورين وفلاسفة عظام كأقليدس في الرياضيات ، وارخميدس في الطبيعيات ، وهيرون في علم جر الاثقال ، وابولونيوس وهيرخس وبطليموس والقوذي الجغرافي والرياضي وهو مؤلف كتاب المحسني وكتب الجغرافية وكثيسينيوس الاسكندري وفيلون البيزنطي وكلهم من تلامذة مدرسة الاسكندرية .

واخترع ارخميدس آلة بمصر لرفع مياه النيل عند فيضانه الى المرتفعات . او لاصعاد الماء من النيل . وهي اقدم الآلات لرفع الماء .

واشتهر علماء الاسكندرية خصوصاً برصد الافلاك ورقب النجوم وعمل الازياج (اي التقاويم الفلكية) حتى كان مرصدهم في الاسكندرية الوحيد في العالم الى عهد الاسلام .

ولقد استقدم الى دمشق خالد بن يزيد بن معاوية الاموي في اواخر القرن الاول للهجرة راهباً اسمه ميريانوس من مدرسة الاسكندرية فعلمه الكيمياء . ونقل هذا العلم الى العربية بواسطة استفان المترجم فكان ذلك اول نقل في الاسلام من لغة الى اخرى ولاسيا العربية ثم اشتهر النقل في صدر الدولة العباسية في بغداد وكان التقلد كثيرين معروفين مثل حنين بن اسحق ، وثابت بن قرة ، وقسطا بن لوقا البعلبكي ، من علماء النصارى وغيرهم .

وكان لمدرسة الاسكندرية اليد الطولى في العلوم الطبيعية والرياضية ولاسيا علم الحيل (الميكانيك) والكلمة يونانية بمعنى (الحيلة لعمل الآلات) فترجمها العرب بكلمة علم الحيل وبعضهم يقول (ميخانيك) كما في الكتب

القديمة وفي كتاب هيرون هذا .

وكان الطب بمدرسة الاسكندرية يدرس بؤلفات لاطباء اليونان كأبقراط (ابي الطب) واشتهر كثير من اطباها بعلم التشريح متفوقين على غيرهم .
فمن اذكرهم الان باختصار من المخترعين للآلات كثيسيوس الاسكندري (سنة ٢٤٥ ق . م) فهو الذي حسن الساعة المائية التي عرفها المصريون والفينيقيون والكلدانيون واليونانيون فكانت عند اختراعها تعين الوقت برشح الماء بغير ضبط احياناً فضبطها .
وذكرها ديوستين الخطيب اليوناني .
وعمل اكتازيوس الرياضي الاسكندري الساعة الحشبية الدقاقة نحو (سنة ١٣٥ ق . م) فكانت غريبة التركيب بديعة الترتيب حتى قيل ان الساعة التي اهداها هرون الرشيد العباسي الى كارلوس الكبير (شارلمان) امپراطور الرومان في اوروبا سنة ٨٠٠ مسيحية كانت على مثالها وقيل غير ذلك .

كتاب علم الجبل لهريرة الاسكندري

اعرض عليكم ايها السادة الان كتاباً من غريب امره ان مؤلفه هيرون (او ايرون) الاسكندري الفيلسوف وهو في علم جر الانتقال . فكان ما ادهشه من الابنية الفخمة في هذا القطر المصري حمله على البحث عما يكشف القناع عن سر هذه الصناعة التي ضاعت كما ضاعت صناعة التحنيط (اي حفظ جثث الموتى دون ان تنحل اجزاؤها) وهو من مخطوطات خزانتى مصور بغاية الاتقان خطأ ورسوماً .

فاتصل هذا الكتاب المؤلف اولاً باليونانية الى العراق فعربه قسطنطين لوقا البعلبكي الذي دهش لهياكل بعلبك الضخمة واراد ان يعرف كيف جرت حجارتها . فبحث عنه ونقله الى العربية وقد جاء في مقدمة هذه النسخة العربية ما نصه : « المقالة الاولى من كتاب ايرون في رفع الاشياء الثقيلة امر باخراجه من اللغة اليونانية الى اللغة العربية ابو العباس احمد بن المعتصم وتولى ترجمته قسطنطين لوقا البعلبكي . . . الخ » وهو في ٧٨ صفحة وفيه ثلاث مقالات . عدد رسوماتها سبعون رسماً بغاية الاتقان .

« فعلم جر الانتقال (كما قال طاشكبري زاده) في كتابه (مفتاح السعادة) هو علم تبين فيه كيفية اتخاذ الآلات الثقيلة بالقوة اليسيرة . ومنفتحة ظاهرة حتى للعوام وقد برهن (ايرون) في كتابه في هذا العلم على نقل مئة الف رطل بقوة خمماية رطل وهذا امر تستعبده العقول القاصرة » (انتهى قول مفتاح السعادة) .

وقال مثل ذلك الحاج خليفة في كتابه (كشف الظنون) وزاد عليه قوله : « وهو من فروع علم الهندسة . وبرهن الامام في اخر جامع العلوم على بعض مسائله ولم يذكر صاحب مفتاح السعادة كتاباً في هذا الفن » . (انتهى كلام صاحب كشف الظنون) .
ومن غرائب الاتفاق ان هذا الكتاب الذي كان في مكتبة بالاسكندرية ونقل الى القاهرة وابتعثه منها منذ سنتين فيه تسع وثلاثون مقالة غير جر الانتقال فيكون مجموع رسائله اربعين رسالة هي في الدوائر المتحركة من ذاتها وفيها تصعيد المياه ثم عمل الساعات التي ترمي بالبندق ورسالات لمورسطوس الحكيم في الارغن البوتي والارغن الزمري وصنعة الجلاجل (اي الاجراس الصغيرة) وبعدها كتاب فيايون في الحيل الروحانية ومخانيق المياه وحال سائر الاسطقساط التي ينتفع بها وعمل آنية عجيبة عديدة مختلفة الاشكال . وقطارة في سراج ذات اشكال . وارباق فيه مياه تتلون باشكال مختلفة . وآنية كثيرة وباريق وطسوت وجامات وبيت من خشب له اربعة ابواب بصنعة عجيبة والمنوارات (ومفردها منوار) وهي السرج الكبيرة التي نسميها اليوم لمبات ترسل اشعة كالكهرباء . فما اجدرنا ان نطلقها على اللمبات الكبيرة عندنا . وآنية للهياكل . ومن سوء الحظ ان هذه المقالات التسع والثلاثين قد ترك لكل منها محلات بيضاء . لتصويرها ولم تصور بخلاف كتاب جر الانتقال اول هذه المجموعة الذي هو كامل الرسوم بديعها متقن الخط والترتيب .

من هو هيرود هذا مؤلف كتاب (جر الانتقال)

هيرود فيلسوف يوناني اسكندري . اختلف المؤرخون باسم والده فقال بعضهم انه ابن كيسيبيوس وقيل انه تلميذه لا ابوه . فهو الذي فتح باب علم الحيل (الميكانيك)

في الرياضيات والمساحة والآلات وما إليها . وتخرج على يده كثير من علماء الرومانيين
لا محل لتعداد اصحابهم الان فتلقوا عن هيرون علومهم التعليمية .
واختلف العلماء ايضاً في الوقت الذي نشأ فيه هيرون فقال بعضهم انه عرف بعد
الميلاد المسيحي وهو الموعول عليه وبعض عباراته في تأليفه لاتينية لم تكن تستعمل
قبلاً باليونانية .

ولهيرون مؤلفات يونانية كثيرة ضاعت ولكن بعضها موجود باللغة العربية مُترجمة
منها (الحِجَل الروحانية) وهو في طبيعة الهواء ونسبته الى الماء وفي الفضاء والمِحص الذي
يصعد الماء او ينقله من اناء الى اخر وفيه مقالة في الساعات المائتية والآلات الروحانية
ونسخته العربية في مخطوطات خزانة آجيا صوفيا في الاستانة .

وكان يستشهد مراراً بارخميدس الفيلسوف الرياضي وذكر له (كتاب القواثم)
وهو مما لم يُعثر عليه كما استشهد بفيلون البيزنطي . ومن هذا يُفهم انها كانا قبله .
ومن عجيب ما يؤخذ به انه نجس الفيلسوف ارسطو حقه لانه اخذ منه اشياء سبقه
اليها ولم يذكر اسمه .

وكتاب (القذائف الحربية) من مؤلفات هيرون ايضاً ولكننا لا نعرف الا اسمه وعلمه
من الكتب التي أُغلقت عليها بعض الخزان ونامت حتى تبعث على يد احد الباحثين .
واشهر مؤلفاته الباقية بين المخطوطات العربية كتابه في (جر الاثقال) الذي هو
موضوعنا ونسخه نادرة منها نسختي هذه ترجمها قسطا بن لوقا المار ذكره عن اليونانية الى
العربية رأساً . وكان لوقا وبعض المترجمين غيره ينقلون اولاً عن اليونانية الى السريانية
ثم يترجمون عن هذه الى العربية لشيوع السريانية في ذلك العهد . فظفر المستشرق
الهولندي غوليوس بنسخة منه في بلاد الشرق وذلك في اثناء القرن الثامن عشر الميلاد
فابتاعها لخزانة (ايدن) في هولندا وهي غنية بالمخطوطات العربية . وقد نقلها الى
اللاتينية ليطلبها مع اصلها العربي فنشر منها مثلاً هو الفصل الاول سنة ١٧٨٥ م .
في اعمال (جمعية غوتنفن الملكية) ومات على اثر ذلك . فلم يتم نشر الكتاب .

ولكن المستشرق البارون كاراً دي فو (Le Baron Carra de vaux)

الافرنسي طالع ما نشر من ترجمة غوليوس المذكور فشخص الى ليدن ودرس هذا الكتاب المنسوخ في النصف الاول من القرن الخامس عشر الميلاد واصلح ما فيه من الخطأ النسخي ونشره في (المجلة الاسيوية الفرنسية) سنة ١٨٩٣ م . مع ترجمة افرنسية وتعليق ثم جمعها على حدة بكتاب وقفت عليه وعارضته بنسختي هذه المخطوطة فوجدت فيه اغلاطاً من تصحيف وتحريف اصلحتها . وعدد الرسوم المنشورة في الترجمة الافرنسية هو ٤٨ شكلاً مع ان رسوم مخطوطتي هذه هي سبعون شكلاً . والكتاب المترجم المذكور عدد صفحات القسم العربي منه ١١٥ بقطع ثمن وصفحات الترجمة الفرنسية ١٩٤ .

من هو قسطا ، لوقا البعلبي مترجم هيرود

قسطا هو رجل من سكان مدينة بعلبك الاثرية المعروفة ببيها كلها الضخمة وحسن هندستها قال عنه الوزير ابن القفطي في كتابه (طبقات الحكماء) كما في صدر هذه النسخة المخطوطة ما نصه : « نقل هذا الكتاب من اللغة اليونانية الى العربية قسطا بن لوقا البعلبي فيلسوف شامي نصراني في الملة الاسلامية تم في ايام بني العباس . دخل الى بلاد الروم وحصل من تصانيفهم الكثير وعاد الى الشام واستدعي الى العراق ليترجم كتباً ويستخرجها من لسان اليونان الى لسان العرب . وعاصر يعقوب بن اسحق الكندي . وكان قسطا متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية ماهراً في صناعة الطب وله تصانيف . فمنها كتاب (المدخل الى الهندسة على المسألة والجواب) بارع في فنه . وكتاب (المدخل الى الهيثة وحرركات الافلاك والكواكب) وكتاب (الفرق بين النفس والروح) و (اربعة كتب في الاخلاط الاربعة) و (كتاب المرايا المحرقة) و (كتاب الاوزان والمكاييل) و (كتاب السياسة) ثلاث مقالات و (كتاب موت الفجأة) و (كتاب الاعداد) و (كتاب ايام البحران) و (كتاب العلة في اسوداد الحبش) وغيرهم . و (كتاب المروحة واسباب الريح) و (كتاب القرسطون) و (كتاب المدخل الى المنطق) و (كتاب العمل بالكرة النجومية) و (كتاب شرح مذاهب اليونانيين) و (كتاب القوانين العددية) و (كتاب شكوك)

و (كتاب اقليدس) و (كتاب الحام) و (كتاب الفردوس في التاريخ) و (كتاب استخراج المسائل العددية) و (كتاب نذور اليونانيين وذكر مذاهبهم) . وله تصانيف غير ما ذكرنا . (انتهى كلام ابن القفطي) .
 وكان قسطاً حاذقاً باللغات العربية واليونانية والسريانية وكتبه المؤلفة والمترجمة اكثر من مئة .

صه هو كارادي فو مأسر كتاب هيرونه . (Carra De Vaux.)

هو مستشرق فرنسي درس في قسم الدروس العالية من (جامعة سوربون) وفي قسم (علوم التاريخ والاشتقاق) وكان يعلم العربية بتلك الجامعة . وكانت له مباحث كثيرة ومقالات ومؤلفات ومترجمات منها ترجمة كتاب هيرن وترجمة (كتاب الحيل الروحانية) لفيلون الفيلسوف وهو غريب في بابيه . فعلق عليه الحواشي والتفاسير وذيده بمعجم المصطلحات . وفي الكتاب الفاظ كثيرة فارسية وآرامية وقد وصف خمساً وستين آلة مبنية على مبدأ المتصص وفيها اسرار انواعها ثلاثة :
 (اولاً) آلات مفيدة في خدمة البيت . (ثانياً) آلات صناعية للغنآ . والصفير ونحوها . (ثالثاً) آلات مذهلة ملهية تسلي الناظرين اليها . وقد توفي في اواخر القرن التاسع عشر للميلاد .

كلمة الختام

والنتيجة ان الاسكندرية تستعيد الان مجدها القديم بكتبتها البلدية ومتحفها ومدارسها وصحافتها . وبما نذكره بالفخر ان جريدتي الاهرام والبصير وغيرها نشأتا فيها . هذا ما القيته على مسامعكم ايها الكرام من العلماء والاعيان لأريكم هذا الكتاب الذي الفه احد ابناؤنا . هذه المدينة . ثم وُجِدَتْ نسخته المترجمة فيها فيحق لكم ان تقولوا : « ان بضاعتنا رُدتْ الينا » راجياً اسباب ذيل المعذرة عما فرط . ولعلي لم اثقل عليكم بما اقتطقت من اخبار هذه المدينة . زادها الله ترقياً بهجة الحكومة السنية ورجال الفضل والصحافة والادب الذين يعاضدونها في ظل حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول وفق الله مساعيه وحفظكم للعلم والادب . بئنه وكرمه .

حاشية على شرح شواهد المختصر (تابع)

تقدم الكلام في اختلاف الروايات وإشارة الامام اليازجي الى ما بلغه من التفات . فاقول لعله لم يسلم شاهد واحد من هذا الاختلاف . اليك مثلاً البيت الاول من الشرح (ص ١) :

أبا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَانَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضُّعُفُ
كذا رواه سيوييه في كتابه (١ / ١٤٨) . وابن سيده في تركيب (ضع)
من المحكم . والتبريزي في شرح الحماسة (٢ / ١٤٠) . والزحشري في المفصل (ص ٧٤) .
أما ابن دريد فإنه في الاشتقاق وفي تركيب (ضع) من الجهرة روى في كليهما
(إمّا كنت) مكان (أما أنت) . وهو موضع الشاهد . ومثله روى ابن قتيبة في
الشعر والشعراء . وابن السكيت في الالفاظ . وهذا الأخير تعقبه التبريزي بقوله
(ويروى أمّا أنت) .

وقس عليه في الاختلاف على موضع الشاهد قول الآخر (ص ٣٥) :

أني وأسطارٍ سَطِرْنَ سَطِراً لِقَائِلٌ يَا نَضْرُ نَضْرُ نَضْرَا

نسبه الشارح الى روبة . وهي نسبه وروايته في كتاب سيوييه (١ / ٣٠٤)
وفي ادب الكتاب للصولي (ص ١١٩) وفي اسرار العربية للأنباري (ص ١١٧) .
وفي الخصائص لابن جنّي (١ / ٣٤٤) . غير أن الصولي روى (آيات) مكان
(اسطار) . وهي اوقع .

أما الصنعاني فإنه في حروف (نصر) من التكملة قال : « هكذا نسبه سيوييه
الى روبة وليس له . ومع هذا هو تصحيف ، والرواية :

يَا نَضْرُ نَضْرُ نَضْرَا

بالضاد المعجمة . يريد النَّضْرَ حَاجِبَ نَصْرِ بْنِ سَيَّارٍ . وبعده :

بَلَّغَكَ اللهُ فَبَلَغَ نَصْرًا نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ يُثْبِنِي وَقِرَاءَ

وفي الصفحات الاولى من الشرح ايضاً (ص ٢) :
 أتبكي على ليلى وانت تركتها وكنت عليها في الملا انت أقدرُ
 رواه الشارح لعروة بن الورد . وانما الرواية في شعر عروة :
 تحنُّ الى سلمى يجرُّ بلادها وانت عليها بالملا كنت اقدرا
 وبعده :

وكيف ترجيها وقد حبلَ دونها وقد جاورت حياً بتيأء مُنكراً
 فمجرى القافية الفتح في ابيات عروة . خلافاً للشاهد .
 وروى صاحب الاغاني ابياتاً لقيس بن ذريح مجراها الضم . منها قوله :
 أتبكي على لبني وانت تركتها وانت عليها بالملا انت اقدرُ
 وبعده :

فان تكن الدنيا بأبني تقلبت عليّ فللدنيا بطونٌ وأظهرُ
 كأنني لها ارجوحة بين أحبل اذا ذُكرتُ منها على القلب تحطُرُ
 فعروة قال (كنت) ونصب (اقدرا) . وقيس رفع (اقدر) ولكنه قال
 (انت) مكان (كنت) . فضع الشاهد في كلا الروايتين .
 والبيت من شواهد سيبويه . وهو عنده (٣٩٥ / ١)
 وكنت عليها بالملا انت اقدرُ

ولم ازل اذكر ان الشيخ حدثنا باختلافهم هنا غير انه وقد مرَّ على ذلك خمسون
 سنة غاب عني نصُّ كلامه .

وابعد من هذا في اختلاف القافية ما اصاب قوله (ص ١١٥) :
 واذا تصبك من الحوادث نكبة فاصبر فكل غيابة فستنجلي
 ولم ينسبه الشارح . والبيت لاعشى همدان . والرواية في شعره :

وإذا تصبك من الحوادث نكبةً فاصبر فكل غيابة سَكَّفُ
وبعده :

ولئن بكيت من الفراق صبايةً إنَّ الكبير إذا بكى لِيَعْنَفُ
وفي الصفحات الاولى من الشرح ايضا (ص ٦) :

اخالد قد والله اوطئت عشوةً وما قائل المعروف فينا يُعْنَفُ
نسبه الشارح الى عمرو بن دويبة البجلي . وكذلك روايته ونسبته في المغني لابن
هشام .

قلت ان كل شطر منه لشاعر . اما الاول فلعله لابن دويبة واما الثاني فللفرزديق
وهو قوله :

وما حل من جهلٍ حُبِّي حلماثنا وما قائل المعروف فينا يُعْنَفُ
وما قام فينا قائمٌ في نَدْرِينَا فينطقُ الا بالتي هي أَعْرَفُ
واني لمن قوم بهم تتعَى العِدَى ورأب الثأى والجانب المتخوَّفُ

ومثل هذا الاختلاف ما وقع في قول الآخر (ص ١٢٢) :

واياك والميتات لا تقربنَّها ولا تعبد الشيطان والله فاعْبُدَا
رواه الشارح للاعشى ميمون . وكذا رواه سيويه (١٤٩/٢) والزخشرى في
المفصل (ص ٣٤٤) :

وهو للاعشى واكن كل شطر من بيت . والرواية في شعره :

واياك والميتات لا تقربنَّها ولا تأخذنَّ سَهْمًا حديدًا فتفصدا
وذا النُصْبِ المنصوب لا تنسكَنَّهُ ولا تعبد الاوثان والله فاعْبُدَا
وصلّ على حين العشيات والضحى ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرنَّ من بانس اذا ضرارة ولا تحسبنَّ المرء يوماً مخْلُدا
ولا تقربنَّ جارةً ان سرها عليك حرام (فاهْلَن) او تأبدا

وهي من آيات يمدح بها محمدًا . ومعلوم ان الاعشى كان كثير التردد على الحيرة يشتري الخمر . واهلها نصارى . وكان عارفاً بما يوجب دينهم من تحريم وتحليل لاخلاقهم ان صح أنه لم يكن على مذهبهم . فهو في شعره هذا ينظر الى ما جاء في اعمال الرسل (١٥ : ٢٠) « ان تمنعوا عن نجاسات الاصنام والزنى والمخنوق والدم » . والى موافقته ما في سورة المائدة : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدمُ وَلحمُ الْخنزيرِ وما أَهلٌ لغيرِ اللهِ بهِ والمنخنقة والموقوذة والمتريفة والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكَّيتم وما ذبح على النصب » .

ولذا استهل الاعشى آياته بقوله :

أجدك لم تسع وصاة محمد نبي الاله حين اوصى واشهدا

ولا بأس بكلمة هنا عن شيء من عادات العرب . ولو انحرفنا عن القصد فلعل في

تصفنا راحة من هذا البحث الجاني المقصور على سرد شواهد النجاة .

قلت ان من يعي الآية الآتفة من اعمال الرسل قد يبدد الى ذهنه ان المنع عن الدم يراد به تحريم القتل . على ان المعنى غير ذلك . فن عادات سكان البادية قديماً أن الرجل منهم اذا جاع وكان مُملقاً عمد الى بعيده ففصد عرقه وتلغى الدم بصيراً فاذا امتلاً عقد على رأس المصير ثم شواه واكله . ومنه المثل عندهم : « لم يجرم من فُصد له » ومنه قول الحماسي :

وقد يترك القدرَ الفتي وطعامه اذا هو امسى حلبة من دم الفصد

ومنهم من يتلقى الدم في قدر ويطبخه . ومنه ما جاء به الآخر يعبر قوماً بجرصهم

على نوقهم لا ينحرونها للاضياف فقال :

خفاءً بجونة قد عودوها ادامة رأسها فوق القدور

الجونة هنا الناقة السوداء .

(١) المصبر واحد المي وجمه مصران . والعامة تستعمل المصران للمفرد خطأ . وجمع

الجمع مصارين .

(٢) فُصد باسكان الصاد . وهي لفة بكر بن وائل واناس كثيرين من بني تميم يسكنون

عين الماضي الثلاثي من بابي علم وكرم والمبني للمجهول .

ومما يذكر أن حاتمًا الطائي مرَّ بارض عَازة ومعه غلام له وفيهم اسير . فاستصرخه .
وليس مع حاتم ما يقديه به . فقال لهم شدوني مكانه ريثما آتيكم بفدائه . وارسل
غلامه يستعجل الفداء . فأتت حاتمًا عجوز وقالت : افصد لنا هذه الناقة . وخشي حاتم
ان يصير فصدها عاراً عليه واحدوثه عنه بين القبائل . فنحروها وقال « هذا قُزْدِيَّة »
يريد قُزْدِيَّة .
جبران النحاس

الاسكندرية في ١٤ / ٨ / ١٩٤٦

(ستأتي البقية)

الجمعية الخيرية للروم الملكيين الطائفة بالفاخرة

تقرير عن مجلس الادارة سنة ١٩٤٥

قطعت هذه الجمعية المباركة ستاً وستين سنة في عمل البر ، يتقلب في مجلس ادارتها رجال
ملأت الشفقة قلوبهم ، وافاضت المحبة المسيحية غيرتهم سكبياً على مذبج المحبة الاخوية رفقا
بالفقراء وذوي البؤس .

وهناك سيدات فاضلات قد تطوعن لهذا العمل السامي في عين الله والبشر ، فكان منهن
« لجنة غداء الظهر ، ولجنة الملابس ، ولجنة الحفلة الساهرة السنوية ، ولجنة مدرسة القديسة نقلا »
كما يدل على الحياة الحثيية في الكنيسة الكاثوليكية ، ويستدعي على القائمين بهذه الاعمال المجيدة
بركات الله وفيض نعمه ، ويكتب لهم الاجر العلوي في دار الابد والسعادة .

نعم وهذه احر دعواتنا واصدق تمنياتنا . واملنا ان ترداد سخاء وقيضاً مساعدات المشتركين
والمحسنين وان يجيب نداء مجلس الادارة كل اولئك « الذين في وسعهم ومن المحتم عليهم ان
يقوموا بقسطهم نحو الفقير » ، ليشاركوا بالاجر الذي وعد به الله الذي لا يضيع اجر كأس ماء
بارد يعطى باسم المخلص .
ي . ب

(٣) بعض العرب يقبل الصاد زائياً اذا كانت ساكنة قبل الدال كما يفعل بعض عامتنا في
مثل قولهم « قَعَلَةُ قُزْدَا » اي قَصْدًا ينون عمداً .

انت الابد!

في خيمة من ورق الحور قائمة في قعر كرم عميق
عاجت به الاشباح في السير والليل فيه هاجع لا يفيق
جلست وحدي فوق السرير
وليس عندي خل سيمير
غير الظلام ينير عاقلتي وسوى السكون يضج في نفسي
واللانهاية وهي حامليتي من عالمي لعوالم الامس

«فينيس» تبدو بين زهر النجوم معبودة محوطة بالمعبد
تجشو لها الانوار فوق الغيوم وتنتهي عنها الى ذا الوجود
ويسطع البدر فوق الغمام
فينجلي فجر يمزق الظلام
اذ ذاك يكسى كل ما في الثرى ثوباً قشيباً باهر اللون
اكن نفسي لا تعود ترى ابعداً مما بان للعين

غيبي ايا «فينيس» عن عيني وعص أيا بدر قعر الخضم
وخلفاني بين خلائن من قائم السحب وداجي الظلم
استنطق العدم كنه الحياة
واسأل الرّم سرّ المات
علّ الحياة متى دجت ظمي ينير نفسي حل أسرارها
فينثني في طرسه قلبي محاولاً تمزيق استارها

ما العيش يا ماضٍ؟ اتلك الغفلة جدباء للمسكين والمعدم

ام واحة خضراء فيها الحياة تبسمت المترف المنعم
وتلكم الحروب للخير والشر
حاصدة الشعوب بالذرة البكر
فلا غنياً آمناً شرها ولا فقيراً انقذته الغلاة
ارى سقاء الارض أو يشرها سيئ ان وافى سفير المات

والموت يا ماض؟ افي غمضة من اجفن باردة جامده
تمضي امانينا كما ومضة مرت فلا تبصرها عائده
وذلك الخيال وذلك العقل
تصير للزوال وكلها جهل
ان كان هذا سرّا اكواننا فنحن والوحش لديها سواء
وجهلها ماض كما اننا لا غاية، لا مطعماً، لا رجاء

ناجيت من اعماق نفسي العدم والزهر في افلاكها صاغيه
وبغته رنّ بسمعي نعم كانه قهقهة الهاويه
يقول يا شاعر الى متى الاحلام
تعوض يا حائر في لجة الاوهام
والنفس ليست شعله ان خبت ضاعت هباء في زوايا الوجود
لكنها صوت اذا جاوبت اصداؤه، يدوي بسمع الخلود

غداً يزيل الرّوض والكرما ويُتلف الحيمة فصل الحريف
غداً شمسي كلها وهما اماً الذي يبقى فذاك الحفيف
لا تقدر الذره وكل اهلها
ان تحف الفكره يوماً وتعنيها

كذا شعاع الموت لا ينفذ في طائرات الروح والعقل
وانما يجملها تنبذ دواع الجسم وتستعلي

ما ذلك الماضي الذي تسأل إلا قبورٌ قد بناها الخيال
هل تفقه الارماس او تعقل يا صاحبي كما تردّ السؤال
اتهمل الباني وتسأل القبرا
فكيف يا فانٍ ستفهم السراً
ما كنت الا قدرةً حقّةً كامنة في نفس ديانٍ
ارسلها من صدره زفرةً فاسفرت عن شكل انسانٍ

فكيف تفنى روحك الخالده ما دمت نسل الخالده الاقدس
وان تصر ذراتك الجامده مضاجع الديدان في الارمس
فنفسك العظمى تهزأ بافناء
وتمتطي النجما الى ذرى البقاء
فقل لمن يجشى تلاشي الجسد مروّعاً من قدرٍ نازلٍ
لا ترهب الموت فانت الابد لا يرهب الموت سوى الجاهل

سامي عازر

ابل السقي

القسطنطينية

- أتاننا من صاحب الأمتاء هذه الفذلكة الاجمالية عن هذه المدينة الكبرى وآثارها فنقدتها
لفرائنا الاماجد لما فيها من لذة تاريخية بينا نحن نشكره عليها شكراً جزيلاً .

القسطنطينية هي اجمل مدن العالم لروعة مناظرها وباهر محاسنها ومراقعها .
فالبروسفور المعروف بالبوغاز النادر يفصل القارة الاوربية عن القارة الاسوية ، وخليجها
المعروف « بالقرن الذهبي » يدخله من اطراف المعمور الوف من السفن والبواخر حاملة
الاموال الوافرة . . . وهناك الآثار العظيمة التاريخية من كنائس وجوامع ومتاحف
وقصور وحمامات وجنات .

ففيها مئة وخمسون كنيسة تقريباً اكثرها للروم والباقي للطوائف المسيحية الاخرى .
وفيهاممئتا جامع كبير اثري كانت كلها قبل الفتح كنائس ايضاً . هذا فضلاً عن نحو
٦٠٠ جامع صغير .

وما نحن نذكر في هذه الفذلكة ، تفكهة لقراء « الرسالة الخلصية » ، في كلمة
اجمالية ، اولاً اهم النواحي التي تصل هذه المدينة العظمى بآسيا ، ثم تلك التي تصلها باوربا ،
ثم نذكر اهم الجوامع التي كانت قبل الفتح كنائس كبرى .

اولاً - اهم النواحي القاعة لجهة آسيا :

« اسكوتاري » او (اسكدار) ، وهي المعروفة بمدينة خريسوبوليس ، واقعة على
ضفة البوسفور فيها مقبرة شهيرة تحف بها اشجار السرو والسنديان ، وفي اعلاها جبال
« اولبس » بغاباتها وغياضها . احدها جبل « الم تاغ » (Elem Tag) وهو من اجمل
متزهات الدنيا لاقتدال هوائه وعذوبة مائه .

ويتصل باسكدار من جهة الجنوب : « حيدر باشا » وهي احدى النواحي التي
توسعت اطرافها وزاد عمرانها بواسطة الخط الحديدي الذي يصل بلاد الشرق باوربا ،
وفيهامرفاً عظيم ورضيف جميل .

« قاضي كوى » المعروفة قديماً بمدينة « خلكيدونية » المشهورة بجمعها المسكوني المقدس . بنيت قبل مدينة « بيزنطية » بنحو سبعين سنة .

« فناراكى » ، ومعناها المنارة الصغيرة ، هي اشبه بجزيرة يحيط بها البحر من كل جانب وفيها الاشجار الظليلة ، وموقعها فاتن .

ثانياً - اما النواحي التي تصل القسطنطينية باوربا فهذه اهمها .
« اسطنبول » وهي القسم الكبير من المدينة ونقطة مركز الاشغال فيها ، وفيه كان موقع القسطنطينية قديماً . واهم الآثار القديمة من كنائس ومتاحف وسرايات هي فيه .

« غاطة » هي القسم الثاني من جهة اوربا . يقوم على قمتها برج شاهق بناه الجنوبيون يشرف على المدينة واطرافها الى مسافة ثلاث ساعات .
« بيرا » يفصلها عن اسطنبول القرن الذهبي ويتصلان معاً بجسر طوله ٤٧٠ متراً ، وفيها الفنادق العظيمة والقصور الشاهقة والمصارف الكبرى والحوانيت التي تمتد الى ساحل البحر حيث الرصيف .

« القرن الذهبي » (Χρυσό - κερως) (La corne D'or) ويسمى ايضاً الخليج : طوله احد عشر كيلومتراً تقريباً ؛ وعرضه ٤٥٠ متراً وعمقه يتراوح بين المئتين والخمسة والاربعين متراً . يقوم على سواحله عدة مناطق تاريخية اهمها من جهة الفنار حيث قصر البطركية المسكونية للروم الارثوذكس

وعلى عين الخليج ويساره سلسلة آكام مكلمة بالجوامع البديعة التي كانت كنائس شرقية قبل الفتح كما قلنا . وفي العدة الجنوبية تقوم الابنية الشاهقة .
فهناك جامع السلطان سليمان ، وجامع السلطان سليم ، وجامع الفاتح وغيرها .
« سراي برنو » وهي قائمة الى شرقي جنوبي مدينة اسطنبول اشبه برأس داخل في البحر . فيها الرياض والاشجار الباسقة تحيط بقصر « اسكي سراي » وقد حل فيها في الزمان الغابر حوالي القرن السادس قبل المسيح ، الميغاريون مع زعيمهم بيروس واسسوا مدينة بيزنطية وشادوا فيها قصورهم ، وجعلوا فيها اسواقهم

ومساكنهم . وعلى قمة تلك الاكثة مما يلي القصر المهابوي كنيسة « آجيا صوفيا » ،
 وكنيسة « آجيا ايريني » ، وجامع السلطان احمد ، وجامع نوري عثمانية .
 « البوسفور » (Βοσφόρος) ويعني بالعربية « ممر البقر » تقوم على ساحليه عدة
 مناطق على شاطئى اوربا وآسيا لان البوسفور هو الفاصل بين القارتين المذكورتين .
 ثالثاً - اهم الجوامع التي كانت كنائس قبل الفتح .

١ - كنيسة « آجيا صوفيا » : اعظم آثار المسيحية ، وابدع كنائس الدنيا
 وكانت كاتدرائية . شيدها الامبراطور قسطنطين الكبير سنة ٣٢٥ م . في السنة
 العشرين من ملكه وجعلها على اسم « الحكمة الالهية » تذكراً لانتصاراته الباهرة .
 وفي سنة ٤٠٤ في عهد الامبراطور اركاديوس ثارت فتنة على القديس يوحنا الذهبي
 الفم رئيس اساقفة القسطنطينية رأى عندها هذا القديس الجليل ان الابتعاد خير وسيلة
 لاختاد تلك الفتنة . وما ان خرج من الكنيسة حتى طارت شرارة الى الكرسي
 البطريركي فأنشئت النار بسرعة مدهشة في الكنيسة فالتهمت . وقام الامبراطور
 ثاودوسيوس الثاني ابن اركاديوس فجدد بناؤها سنة ٤١٥ فازدهت حيناً . ثم لعبت
 بها النار مرة اخرى على عهد الامبراطور يوستينيانوس في ١٣ كانون الثاني سنة ٥٣٢ .
 لكن هذا العاهل العظيم لم يشأ الا ان يجلد له ذكراً بتجديد بنائها على اروع واخفم
 طراز . فوقف لبنائها عشرة آلاف عامل ومئة معلم يديروهم المهندس الكبير انثامبوس
 (او انثيموس) . واستمر العمل مدة خمس^(١) سنوات متوالية . واتى لها باعمدة
 نفيسة من افسس وآثينا وبعلبك وروما . واقام قببها من الاجر الخفيف الذي احضره
 من جزيرة رودس ، وغشى حيطانها بالرخام المجزّع ، ورضع سقفها وايواناتها بالفسيفساء .
 والذهب ، ونقش على جوانب القبة هيئة كرويين وسرافين على مثال هيكل سليمان
 الحكيم . وكانت الحجارة الكريمة تزين اواني الكنيسة ولاسيا المائدة المقدسة

(١) واذا صح ان العمل انتهى سنة ٥٤٨

المصنوعة من فضة وذهب . وما كان يزيدا رونقاً وراء ايقونستاسها البديع الرائع والمناظر (الشمعدانات) والثريات والقناديل المغشاة بالذهب . فضلاً عما كان هناك من النفائس الثمينة كالعرش الملكي والعرش البطريركي والانبون وغيرها .

يتقدم هذا البناء رواقان (نرتكس) داخلي وخارجي وكلاهما مسقوف . طول كل منهما ستون متراً بعرض عشرة امتار . اما الرواق الداخلي فخطانه مدبجة بالنسيفساء الذهبية باشكال ونقوش رائعة . وفي هذا الرواق تسعة ابواب يدخل منها الى الكنيسة وكلاها من خشب مصفح بالنحاس الثمين . والكنيسة تكاد تكون مربعة من الداخل . طولها ٧٥ متراً ما عدا الهيكل والاروقة ، وعرضها ٧٠ متراً . وفوق هذا المربع ترتفع قبة الى علو خمس وستين متراً محيطها يبلغ اثنين وثلاثين متراً ، فيها اربعون نافذة ، وحوالها يقوم سبع حنايا او انصاف قباب (demi-dôme) في كل منها خمس نوافذ ، وعلى جانبي كل نافذة اربعة اعمدة . وكذا في نوافذ القبة الكبرى .

وبعد الفتح الاسلامي حول السلطان محمد الفاتح هذه الكنيسة الى جامع وتجردت من زينتها الداخلية والخارجية ، ورفعت اوانبها الكنيسة المقدسة . لكنها ما زالت على هيئتها القديمة بمجراها وجدرانها وسقفها وايواناتها . ولا يزال يشاهد فيها الى الان آثار من صور الكرويين الاربعة التي في اطرافها حول القبة وان تكن قد تغطت بنقوش جديدة ، كما انه لا يزال يشاهد في امكنة كثيرة صور القديسين على الجدران واركان البناء .

اما في داخل الكنيسة فلم يزل منارتان كبيرتان (شمعدانان) واربع صغار . وقد زاد الاسلام حين فتحهم مكاناً لجوس السلطان ومنبراً اسلامياً . ولما حوت الى متحف تجردت من كل العلامات الاسلامية .

وفي سنة ١٩٣٣ حوتها حكومة الجمهورية التركية الى متحف عمومي . وقد عينت لجنة من الخبراء للكشف عن تلك الآثار البديعة فبدت الآن نقوش جميلة من النسيفساء المغشاة بالذهب على رؤوس الاعمدة داخل الكنيسة . وظهر فوق باب

الزركس ايقونة بالنسيفساء تمثل والدة الاله جالسة على عرش وحاملة الطفل يسوع وعن يمينها الامبراطور يوستينيانس وعن شمالها الملكة . وظهرت ايقونية ثانية جميلة فوق باب الكنيسة الغربي الكبير من جهة الخارج تمثل السيد له المجد جالسا على عرش عال وضابطاً الكل بيده وعن يمينه والدته الطاهرة وعن شماله رئيس الملائكة ميخائيل وقد سجد امامه الامبراطور يوستينيانس . كذلك ظهرت على ابواب الكنيسة النحاسية نقوش بديعة . اما محل قدس الاقداس والهيكل فلم يزل الباحثون يبحثون عن آثارهما النفيسة .

وفي سنة ١٩٣٤ وقعت صاعقة على مئذنتين فهدمت نصفهما ولم يزل على حالتها الى الان .

٢ - كنيسة « آجيا ايرويني » شيدها الملك قسطنطين الكبير . فتحوات الى المتحف العسكري .

٣ - كنيسة الرسواين بطرس وبولس . فتحوات الى جامع « اسكي مصطفى » .

٤ - كنيسة لدير الراهبات . تحوات الى جامع « بدروم » .

٥ - كنيسة « بانتيابت » (Pantepapte) بنيت في القرن الحادي عشر بنفقة الاميرة حنة ام الامبراطور الكسي كومانوس . وتحوات الى جامع « اسكي ماريت » .

٦ - كنيسة « الكلية الغبطة » (Παμμοναρίστος) بنيت في القرن الثاني

عشر بنفقة ميخائيل دو كاس وامرأته ماريا كومانس . وقد حولها الى جامع مراد الثالث سنة ١٥٩٤ فصارت جامع « فاتحية » .

٧ - كنيسة دير الرسول اندراوس . وقد تحوات الى جامع سنة ١٤٨٩ وهي جامع « خوجه مصطفى باشا » .

٨ - كنيسة القديس يوحنا كاتب سلم الفضائل بنيت سنة ٤٦٣ بنفقة لاون

الكبير وقد استولى عليها اللاتين سنة ١٢٠٤ ثم استرجعت لطائفة الروم في زمن الامبراطور قسطنطين باليولوغوس واخيه اندرونيكوس الثاني سنة ١٢٨٣ . فتحوات

الى جامع « امراهور » .

٩ - كنيسة على اسم نياح السيدة في دير خورا لجهة الفنار وهي من التحف المهمة النادرة . يقال ان مشيدها هو قسطنطين الكبير وانها اقدم من آجيا صوفيا ولا تزال آثارها البيزنطية ظاهرة فيها وكل ايقوناتها ونقوشها بانفسيساء الجميلة من داخل الكنيسة وخارجها والزواق ايضا . وقد حولها حميد علي باشا الى جامع سنة ١٤٩١ ودعيت جامع « قاهيري » .

١٠ - على آثار كنيسة الرسل الاطهار التي شيدها الملك قسطنطين قام جامع « محمود الثاني » .

١١ - كنيسة العظيم في الشهداء ثاودورس حولها الى جامع السلطان سليم الثاني في القرن السادس عشر . فسميت جامع « الورد » .

١٢ - كنيسة القديسين سرجيوس وبكخوس . بنيت في القرن السادس بنفقة الامبراطور يوستينيانس وحولها السلطان محمد الفاتح الى جامع « آجيا صوفيا الصغير » .

١٣ - كنيسة « الضابط الكل » (Παντοκράτωρ) شيدها الملكة ايريني فصارت جامع « زيريك » .

١٤ - كنيسة القديس ثاودورسيوس تحوت الى جامع « كول » .

١٥ - كنيسة القديس الشهيد مينا . تحوت الى « كاليبس جامع » .

١٦ - كنيسة القديس جاورجيوس . تحوت الى « ميرمان جامع » .

تلك هي اهم الكنائس الكبرى التي تحوت الى جامع . وكذلك عدد كبير من الكنائس الصغيرة تحوت الى جوامع لا يتسع لها مجال هذه العجالة .

بيد انه لا يزال في القسطنطينية اربعون كنيسة للروم الارثوذكس ، واربع عشرة للارمن الغريغوريين ، وخمس للارمن الكاثوليك ، واحدى عشرة للاتين ، وواحدة للروم الكاثوليك السوريين ، واربع للطوائف البروتستانتية . والله اعلم .

فهرسة تاريخ الكنيسة الملكية

بقلم الارشمندريت يوسف الشماس ب. م.

الفصل الثالث

من اعلان الحرية الدينية بامر قسطنطين سنة ٣١٣

الى زوال الشقاق الانطاكي سنة ٤١٥

١ - كنيسة ايليا اي اورشليم

نصتها :

٥٧ - ان قسطنطين الكبير بعد ان ملك على الغوب وانتحل الدين المسيحي اذاع (سنة ٣١٣) مع ليكيانيوس امپراطور الشرق امرأ يعرف في التاريخ « بروسوم ميلان » لانه صدر عن مدينة ميلان في ايطاليا الشمالية ، وابعاح لكل واحد ان يتخذ الدين الذي يريد . اما هو اي (الملك) فال مع المسيحيين ومنحهم الحرية الدينية المطلقة واعطاهم الامتيازات التي كان يتمتع بها قبلاً الوثنيون وحدهم . وهكذا انتصر الدين المسيحي على الوثنية بعد الاضطهادات التي عاناها منها نحواً من ثلاثئة سنة ! ولا فازت النصرانية بجريتها توجهت الابصار الى الاماكن المقدسة . فاخذت هذه تتعزز وازداد الاقبال على زيارتها ولاسيما بعد ان قامت كنيسة القبر المقدس وغيرها من الكنائس بعناية الملك قسطنطين وامه القديسة هيلانة وبعد ان وُجد عود الصليب الكريم واجتمع ما اجتمع من الذخائر والآثار في « ايليا » فعظمت منزلتها عند المسيحيين وارتفع شأنها فأخذ اسمها الجديد (اي ايليا) يحتفي ، وعاد اليها اسمها القديم الجيد (اي اورشليم) . وهكذا كان القرن الرابع بدء نهضة « ام الكنائس » وبدء العصر الذهبي لها .

اساقفتها البطارقة :

٥٨ - اما اساقفتها البطارقة فقد كانوا اربعة في هذه الحقبة ، وهم :

(١) القديس مكاروريوس الاول (٣١٣- ٣٣١) وقد شهد المجمع المسكوني النيقاوي الاول سنة ٣٢٥ وحكم مع آباء المجمع على آريوس المبتدع وعلى بدعته التي كانت تنكر مساواة الابن للآب في الجوهر .

وكان من اعمال هذا المجمع انه اعترف في قانونه (٧) بالكنيسة اورشليم من الكرامة الخاصة نظراً الى شرف اصلها . ومن مآثر القديس مكاروريوس انه نال من قسطنطين الملك الرخصة في الكشف عن الآثار المقدسة . وقد اسعده الحظ ان اتت القديسة هيلانة ام الملك الى اورشليم فكانت له خير معين في ذلك . فنبشوا ووجدوا القبر المقدس وعود الصليب الكريم نحو سنة ٣٢٧ . وفي تلك الاثناء قامت اهم واقدم الكنائس في اورشليم وبيت لحم وجبل الزيتون وحبرون .

ويظن ان القديس مكاروريوس دشن نحو سنة ٣٣٠ كنيسة دير فاران قرب اورشليم التي تمت حينئذ بعناية القديس خاريطون مؤسس الرهبانية في شرق المدينة المقدسة .

(٢) وخلفه بعد وفاته القديس مكسيمس الثاني وكان من المعترفين بالايان الذين في زمن اضطهاد مكسيمينوس دايا فقت احدى عيونهم وقطعت احدى ارجلهم وارساوا الى العمل في المعادن . ودشن مكسيمس سنة ٣٣٥ كنيسة القيامة التي كان قد بناها الملكان قسطنطين وهيلانة .

وسنة ٣٤٦ اذ عاد القديس اثناسيوس الكبير بطريرك الاسكندرية من المنى ومرّ بفلسطين قبله القديس مكسيمس . بل عقد مجمعاً من ١٦ اسقفاً ورخّب به فكان هذا الترحاب مدعاة لاضطهاد اكاكيوس الاريوسي له ، وكان اكاكيوس هذا متروبوليت قيصرية فلسطين التي كانت مدينة اورشليم خاضعة لها . فأرسل مكسيمس الى المنى ، ويُعتقد انه هناك قضى نحبه نحو سنة ٣٤٩ .

(٣) وقام بعده القديس كيرلس الاورشليمي (٣٥٠ - ٣٨٦) وهو معلم

الكنيسة المشهور الذي قاسى محناً كثيرة من سعيه للتحرُّر من ولاية متروبوليت
قيصرية فلسطين ومن اعنات واضطهاد الاربوسيين له ، فبني ثلاث مرات عن كرسية ،
ولكنه رأى موت ودمار كل مضطهديه . وشهد سنة ٣٨١ المجمع المسكوني الثاني
القسطنطيني الاول الذي نبذ تعليم مكدونوس وانكاره لالهة الروح القدس .
وتوفي القديس كيرلس سنة ٣٨٦ . وخآف بين مؤلفاته « مجموعة » عظات رائعة
كان قد القاها وهو كاهن على الموعوظين والحديثي الايمان . وهي منقسمة الى مقدمة
و ٢٣ عظة او تعليماً حاوية شروحاً مشبعة في عقائد الايمان وفي التقاليد القديمة .
وتُعدّ الاولى من نوعها وهي اقدم التعاليم المسيحية ، وبسببها خصوصاً جعل البابا
لاون الثالث عشر القديس كيرلس في عداد معلمي الكنيسة .

وعلى عهد القديس كيرلس سعى الامبراطور الكافر يوليانوس الجاحد (٣٦١ -
٣٦٣) ان يعيد بناء هيكل اورشليم ليكذب قول السيد المسيح انه لا يبقى منه
حجر على حجر (مت ٢٤ : ٢) . فعاد سعي الامبراطور خائباً اذ خرجت النار
من الاساسات مراراً واضطرت العملة الى العدول عن البناء . وكان القديس كيرلس
قد طمأن الناس مبيئاً لهم انها لا يمكن تكذب ان النبوة .

٤) وخآف يوحنا الثاني القديس كيرلس على كرسى اورشليم وقضى نحو ثلاثين
سنة في الاسقفية (٣٨٦ - ٤١٦) . وكان من المغالين في الاعجاب بالمعلم
اوريجانوس ، وحامى عن الكاهن روفينوس الاكويبي (Rufin d'Aquilée) الكاتب
اللاتيني الشهير ضد القديس ايرونيمس معلم الكنيسة الغربية الكبير . بل كان خصماً
شديداً للقديسين ابيفانيوس وايرونيمس . وكان بينه وبينهما جدال عنيف استمر من
سنة ٣٩٤ الى سنة ٣٩٧ التي صالح فيها ايرونيمس . ويعاب بانه كان صديقاً لبيلاجيوس
المتدع الذي كان ينكر وجود الخطيئة الاصلية ولزوم النعمة والفداء .

وعلى الحقيقة قد عقد الاسقف يوحنا مجمعا سنة ٤١٥ ، واحضر فيه بيلاجيوس
المذكور وخصمه اوروز (Orose) الذي كان القديس اوغسطينس قد اوفده لينيئ
آباء المجمع ان تعليم بيلاجيوس قد حُكم عليه في افريقيا . فامتنع مجمع يوحنا عن

الحكم على بيلاجيوس وتخلص من تبعه ذلك بقوله : بما ان المتخاصمين هما من البلاد اللاتينية فينبغي ان تقام دعواهما في رومة .

على ان هذه الدعوى بقيت زماناً في فلسطين . واذ فتحت امام افلاجيوس متروبوليت قيصرية عقد مجمع في ديوسبوليس (اي اللد) حضره ١٤ اسقفاً ورأسه المتروبوليت نفسه فاحضر بيلاجيوس . ولكن هذا المبتدع خدع آباء المجمع ونجا من الحرم . غير ان بدعته قد قضي عليها اخيراً سنة ٤١٥ وتُبذت .

نشأة الرهبانيات فيها :

٥٩ - اذا كانت الاماكن المقدسة تفتن المؤمنين وتجذبهم اليها ففتنتها لطامة الكمال اشد واقوى . فكان هؤلاء يقصدونها من جميع الاقطار لا للاجيج والزيارة فقط بل للاقامة فيها والسكنى المؤبدة . ومن ثم نشأت فيها الطريقة الرهبانية وانتشرت بسرعة بعد ان كانت هذه الطريقة قد نشأت في القطر المصري اولاً وانتقلت سريعاً الى ابواب انطاكية .

وكان مؤسس طريقة التوحيد في براري غزة (اي غربي المدينة المقدسة) القديس ايلاريون الكبير الذي اصبح رئيساً ومرشداً لجمع غفير بلغ عدده مئآت بل الوفأ من المتوحدين . وعلى مقربة منه اسس القديس ابيفانيوس المشهور في المكان الذي يقال له « عاد القديم » (Le Vieil ad) طريقة الترهب في العيشة المشتركة على غرار القديس باخوميوس المصري .

وفي ذلك الوقت ظهر القديس خاريطون المعترف شرقي المدينة المقدسة واسس الحياة النسكية اي طريقة التوحيد ، فانشأ منسكاً (Laure) قرب عين فارة ، وآخر قرب عين الدوق ، وآخر ايضاً في برية تقوع غربي البحر الميت .

ومن ذلك الحين اخذ جبل الزيتون والمدينة المقدسة وبيت لحم وبراري اليهودية نقص بالديورة والمناسك . وكان الغرييون يعيشون هناك الى جانب اخوانهم الشرقيين . وهكذا اصبحت كنيسة اورشليم في القرن الرابع وما بعده جنة الفردوس والارض العامرة بالمتراوات والاديار المقدسة .

على ان ذلك لا يعني ان تلك الجماهير الرهبانية بقيت دوماً في سلام : فقد نالها قسط من الاضطرابات التي سببتها المشاحنات والمخاضات على تعاليم وفضائل اوريجانس وبيلاجيوس ، كما سبق القول .

مشاهير رجالها :

٦٠ - كانوا كثيرين في هذه المدة لا نذكر منهم الا من يلي :

(١) اوسابيوس القيصري (Eusèbe de Césarée) المؤرخ المشهور الذي ولد نحو سنة ٢٧٠ م ، وعشق العلوم منذ حداثة وتلمذ للقديس بفيلاوس الشهيد الذي مر ذكره (عد ٤٠) وترقى في مراتب الكهنوت حتى صار اسقفاً على قيصرية فلسطين نحو سنة ٣١٥ . واكب على الاشتغال بالعلوم ولاسيما بالتاريخ حتى سمي « ابا التاريخ الكنسي » كما سمي هيروودوتس قبله « ابا التاريخ المدني » . وكان صديقاً حميماً للملك قسطنطين الكبير ، وشهد المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ وكان من الموالين لاريوس المبتدع . وقد انتخبه بعض الاساقفة بعد عزل القديس افسطاتيوس بطريرك انطاكية ليكون خليفة له فتمنع . وقد توفاه الله نحو سنة ٣٤٠ ، وكان قد صنف كثيراً من الكتب التاريخية والدينية والعلمية : منها « تاريخه الكنسي » في عشرة كتب ، ومنها « الكرونيك » اي تاريخ السنين ، بدأ فيه من تاريخ آدم الى سنة ٣٣٠ للميلاد ، ومنها « ترجمة قسطنطين الكبير » في اربعة كتب شرح فيها اعمال هذا الملك التقوية وضمنها مراسيمه واوامره الدينية ، ومنها كتابه الموسوم « بالاستعداد الانجيلي » . وله تأليف في « شهداء فلسطين » وآخر في « المدافعة » عن المعلم اوريجانس الخ .

وخلاصة الكلام ان اوسابيوس القيصري كان ذاهية عصره واعلم علماء مصره . ولكننا نأسف شديد الاسف لانحيازه الى هرطقة اريوس التي تنكر مساواة الابن للآب في الجوهر ، ولانضوائه تحت لواء المدافعين عن تلك البدعة المشؤومة .

(٢) القديس خاريطون (نعمة الله) الذي كان منشأه مدينة ايقونية عاصمة ليكاونية من اعمال آسيا الصغرى . وقد اعترف بالمسيح في بلاده وعذب كثيراً

لأجل ذلك فسمي « بالاعترف » ثم هرب من هناك واتي الى فلسطين واسس فيها ثلاثة مناسك كما مر (عد ٥٩) . ووقد بالرب سنة ٣٥٠ .

(٣) القديس ايلاريون الكبير (٢٩١ - ٣٧١) الذي اشتهر كثيراً في تلك الاثناء ، وكان اصله من تاباتا قرب غزة ، وتلمذ حيناً للقديس انطونيوس الكبير ، وتعلم منه طريقة التوحيد ثم جاء الى براري غزة غربي المدينة المقدسة وانشأ الحياة النسكية هناك ، وتلمذ له كثيرون كما مر (عد ٥٩) . ثم تضايق لكثرة توارد الناس اليه ، فجعل ينقل من مكان الى مكان ومن بلاد الى بلاد حتى افضى به المطاف الى جزيرة قبرس . وكان الله دوماً معه يعمل به الآيات والنبؤات . فمات في الجزيرة المذكورة قرب مدينة بافس ، ثم نقل رفاته احد تلاميذه (الذي كان مرافقاً له) الى ديره او منسكه الذي في فلسطين .

(٤) الجليل في القديسين ابيفانيوس (٣١٥ - ٤٠٣) رئيس اساقفة قسطنسة او سلامينا (عاصمة قبرس) الذي كان مسقط رأسه قرية فيسندوكي قرب مدينة بيت جبرين احدى مدن فلسطين الغربية . وقد بنى فيما بعد ديراً قرب هذه المدينة بقي رئيساً عليه نحو ثلاثين سنة ، وكان خصماً شديداً لتعاليم اوريجانوس . واذ كان يعرف خمس لغات - وهي الارامية (الميريانية) ، واليونانية ، والقبطية ، والعبرانية ، واللاتينية - اشتهر جداً ، فانثخب سنة ٣٦٧ اسقفاً بل متروبوليتاً لقبرس واصبح من آباء الكنيسة المشهورين وامتاز بصدقاته واحساناته الى البائسين . وقد خلف هدة تأليف اهتمها « المرساة » و « مجموعة كل المهرطقات » التي كانت الى زمانه مع دحضها .

الآلات الموسيقية عند العرب:

العود

العود آلة شرقية خاصة في شقيتها ، بل هو آلة الطرب المثلى عند العرب كان انتشاره وما برح شاملاً في الشرق . أما العرب الاقدمون فقد عمدوا اليه في تحقيق مذاهبهم النظرية فهم لم يتدرجوا الى النتائج العلمية الراهنة التي انتهوا اليها إلا بفضل ما اتاحت لهم الآلات الوترية ، وفي طبيعتها العود ، من تجارب بعيدة المدى ثابتة . وأما العرب المحدثون فقد تأخروا بعض التأخر عن اسلافهم المبتدعين وظهروا بظهر الضعف اذ عجزوا عن مواصلة الابحاث الدقيقة ومتابعة المجهود العالمي ؛ على أنهم ما زالوا ، من ناحية اخرى ، يحافظون بامانة على ارث الاجداد محافظتهم على وديعة ثمينة . فالعود ، عند معاصرنا ، متفوق له المقام الاول على غيره من الآلات الدخيلة مثل الكمنجة والبيانو ؛ وهذا التفوق لا يبدو في الاستعمال فقط ، بل يتجلى ايضاً في ما يستشيره العود في الارواح من لذة وثابة وغبطة كاملة سواء كنا نسمعه في الغناء الآكي المفرد ام في اصطحاب الغناء الانساني حتى ان بعض العلماء والمؤرخين الغربيين يرون أن العود هو اصل الكمنجة والبيانو . اما الصلة بين الكمنجة والعود فواضحة جلياً ؛ أما بين العود والبيانو فقد لا توجد قرابة في نظر من يرى ان البيانو انما يتفرع عن القانون او القيثارة القديمة وليس عن العود . ومهما يكن من أمر فالبيانو يبدو كانه آلة جمعت فيها مزايا القانون والعود . فالبيانو يحتوي من ناحية ، كالقانون ، على اوتار متعددة يفوق عددها عدد اوتار العود ؛ ومن ناحية اخرى زاه مزوداً مثل العود بصندوق يزيد في حجم الاصوات اذ تتجاوب فيه الانغام كالصدى فتزيد اهتزازاتها وتخرج بقوة اعظم مما لو بقيت الالحان حرّة طليقة .

وسنأتي في الدرس الحاضر على وصف العود الدارج عند معاصرنا ونوع تركيبه ؛ ثم نتخطى الى البحث عن نشأته وتطوره في التاريخ معتمدين على تأليف العرب الاقدمين ، لاسيا اهل القرون الوسطى ، وعلى ما توصلت اليه اليد من البحوث المستشرقين النفيسة . ثم ننتهي الى ايراد بعض قصص طريقة مقتطفة من كتاب « الاغاني » الشهير .

١ - وصف العود :

ليس القصد من هذا الوصف ان نعرف شيئاً مجهولاً . وانما غايتنا الوحيدة ان نبين خطأ من يشكو عجز اللغة العربية وخلوها من المفردات والمصطلحات العلمية الفنية . ومثل هذه المزاعم ان هي إلا غشاء نستد به تقاعدنا وخمولنا واهمالنا مطالعة مؤلفات العرب الاقدمين ، على حين انها غنية بالاوضاع الفنية وباساليب الابتكار المتعددة .

يتركب العود من جزئين رئيسيين : الصدر والعنق او الساعد . فالصدر يشبه في رسمه قطعة من اجاصة شطرت في وسطها ، وله وجهان : وجه مستوي الانبساط ، لون خشبه ابيض ، ووجه آخر محدودب يتراوح لون خشبه بين الاصفر الشفاف والاسمر القاتم . وفي مؤخر الصدر يركز الفرس او المشط لتربط به اطراف الاوتار . والمشط اقل علواً من الفرس .

اما العنق فهو كناية عن قضيب غليظ من الخشب القاسي الاسود اللون ينتهي في الجهة المقابلة للصدر بالرأس او الانف حيث تشد الاوتار وقت التوقيع او الدوزنة بواسطة المفاتيح . ويطلق على موضع تجمع الاوتار قبل شدتها اسم دستان ، كما أن هذا الاسم نفسه قد اطلق ايضاً على مواضع جس الاوتار فوق العنق ولذا يقال لها دساتين وقد سماها الاصهباني بالمجاري .

ويتم النقر على الاوتار بواسطة « المضرب » او « الزخمة » او « الريشة » وكلها بمعنى واحد .

٣- اصل العود واساؤه المتعددة :

وعلى ما للعود من عظيم الشأن عند العرب فليس من المحقق ان منشأه كان بين
 ظهرانيهم . بل يغلب ان العرب اقتبسوه عن اليهود او اليونانيين او الفرس .
 كانت الآلات الموسيقية عند اليهود الاقدمين متعددة كثيراً . وكان بين آلاتهم
 ذوات الاوتار التي قد تكون لها صلة بالعود العربي « النابل » و « الكنور »
 (nebel, kinnor) وقد ترجم الشيخ ابراهيم اليازجي هاتين الكلمتين بلفظي
 « العود » و « الكتارة » . وفي الحقيقة ان التكهن صعب لمعرفة نوع تركيب
 تلك الآلات العريقة في القدم . فكل عالم يكاد يرسم لها رسماً يختلف اختلافاً بيناً
 عن رسم زميله . (انظر دائرة المعارف الموسيقية ، ص ٧١) .

اما عند اليونانيين فقد تنوعت الآلات ذوات الاوتار . نخص بالذكر منها
 « العود » (χίθαρῖς, φόρμιγγῆ, λύρα) والقيثارة (κιθάρα) وهي غير
 « الكيثاريس » . وبعض هذه الادوات معروف عند قدماء اليونان أو الاغريق
 فقد ورد ذكر العود في اشعار هوميروس انه آلة الافراح العائلية ، وبقي كذلك
 مدة طويلة . وعلى ما نلاحظه في آثار فني التصوير والنقش نرى ان العود القديم
 الاولي تألف من قشرة الزخفة الخارجية القاسية يعالوها من الجهة المحوفة بجلد غنم
 مشدود . اما عنق الآلة فهو مجرد قرنين من الماعز تشد فوقها اوتار من امعاء
 الغنم .

كتب حضرة الاستاذ البجاجة عيسى اسكندر المعلوف عضو الجماع العلمية في
 مقالة بعنوان : « الموسيقى والغناء عند العرب » فقال : « تناول العرب ذوات الاوتار
 من غيرهم فاخذوا العود عن الروم . وقال البعض انه من صنع احد حكماء
 الفرس سماه « الهربط » ومعناه باب النجاة ، لانه مأخوذ من صرير باب الجنة . وفي
 الشفاء ان معناه صدر البط ؛ وفي محل آخر منه انه طنبور ذو ثلاثة اوتار ، اول
 من ضرب به عبدالله بن الربيع » (المشرق : سنة ١٩٠٤ ، ص ٩٠٤) . وكتب
 المستشرق درلنجه ما يخالف ذلك وأكد ان العرب قد ابتدعوا العود منذ اول

تاريخهم ، وما زالوا يرون فيه منذ البدء حتى الآن آلة الطرب المثلى بل آلة الطرب الوطنية القومية . ويذكر السيد درلنجه من الاسباب والحجج القاضية بصحة هذه النظرية ان شعراء الجاهلية يعرفون العود ولا يجهاون مكانته في الحياة الاجتماعية ، ان في الاجتماعات العائلية لاستشارة الطرب واستكمال اللذة وان في مجالس القينات لمرافقة غنائهن (١) .

وعلى كل حال فتضارب الآراء دليل واضح على ان الالتباس والريبة يجامران ما نعرفه عن ظهور العود بين العرب وان نشوء تلك الآلة ما زال سراً عميقاً ولغزاً عسيراً ويزيد السر ابهاماً واللغز عمقاً تمدد الاسماء الى حد يوقع في الحيرة ؛ فمنها ثلاثة كثيرة الاستعمال مأخوذة التداول : « العود » و « الهربط » و « المزهر » ، جمع اليها المستشرق درلنجه تسميتي « الموتر » و « الكيران » . فمن يدري لعل تلك الاسماء المتعددة تدل على ادوات مختلفة ؟ ليس في وسع الابحاث التاريخية والنقدية ، في حالتها الحاضرة ، ان تبت في الامر ، فهي عاجزة عن ان تثبت وجود آلات مختلفة ؛ وفي الوقت نفسه تستغرب اطلاق اسماء تعددت الى ما وراء الكفاية على موضوع واحد ومسمى واحد . فمعانانا نوفق في مطالعة تأليف اسلافنا العرب الاقدمين الى حل هذا المشكل واستجلاء هذه الحقيقة .

(يتبع)

الاب الفونس الصباغ المخلصي

ملاحظة

وردنا مقالات لذيذة ومفيدة لم يتسع لها مجال هذا العدد فنعذر الى اصحابها ونحضهم الشكر عنها وموعد القراء الكرام بها في الاعداد التالية .
على انا نرجو من كل من لا يريد متابعة الاشتراك ان يعطنا قبل نهاية هذه السنة الحالية .

(1) D'Erlanger, La musique arabe, t. III, p. 606.

الرجاء من المشتركين الكرام ان يرجعوا في ما يخص الاشتراكات الى وكلائنا
المعينين وهذه اسمائهم :

زحلة : الاب فيلبس يواكيم ب. م
انطوش مار الياس المخلصية

البقاع الجنوبي : السيد الياس غطاس
مشغرة (البقاع الجنوبي)

الاسكندرية : الاب بولس الشاعر ب. م
بطريركية الروم الكاثوليك

مصر القاهرة : الاب وكيل الرهبانية
شبرا ، كنيسة الروم الكاثوليك

الولايات المتحدة :

الارثمنديت بطرس ابو زيد ب م
298, Oak St. Lawrence Mass.
U. S. A.

المكسيك : الاب فيليبيون شامي ب. م
Ap. 1900-1900 Mexico D. F.

صيدا : الاب اثناسيوس مشتف

صور : السيد انيس القبطي

جديدة مرجعيون : السيد عقل ضاهر
مطرائية الروم الكاثوليك

عكا وحيفا وتوابعهما : السيد نقولا عصفور
حيفا ، ادارة البرق والهريد

القدس : الاب جبرائيل ابو سعدي
مدرسة القديسة حنة ، ص . ب ٧٦٩

دمشق : الاب يوسف قندلفت ب. م
حارة الزيتون ، انطوش المخلصين

شرقي الاردن :

الارثمنديت نعمة الله الغريب ب. م
عمان ، مطرائية الروم الكاثوليك

بيروت : الاب اثناسيوس نصورة ب. م
المدرسة البطريركية

ان معمل حلوة العريبي هو المحل الوحيد
الذي تقدمت حلوياته الى صاحب
القداسة الجبر الاعظم وصادفت لدى
قداسته القبول ومنحه الهبة الرسولية
بموجب مرسوم رقم (١٥٩١٨٨)

نمرة التلفون ٦٢ - ٤٠



AR-RICALAT

AL-MOUKHALLISSAT

Revue Mensuelle

publiée sous la direction des PP. Salvatoriens

SOMMAIRE

	Page
<i>Nationalisme et religion</i> P. G. Farhat B. S.	453
<i>Le cantique du crucifiement, est-il de Bach ou d'un autre ?</i>	465
<i>La mort du loup</i> * P. Paul Soueid B. S.	468
<i>L'Ecole d'Alexandrie et ses hommes illustres</i> M ^r . Issa I. Malouf	470
<i>Notes sur les « Exemples de l'Arjouzeh »</i> M ^r . G. Nahas	477
<i>Compte - rendu</i>	481
<i>Toi l'éternel ! (poésie)</i> M ^r Sami Azar	482
<i>Constantinople</i> E. L.	485
<i>Précis de l'histoire de l'Eglise Melkite</i> Arch. J. Chammas B.S.	491
<i>Le ^cUd et son évolution</i> P. A. Sabbagh B. S.	497

ABONNEMENT

Liban & Syrie	600 P. L. S.
Egypte - Palestine - Irak	20 Shil.
Amérique	7 Dol.